www.quranonlinelibrary.com

| | |
|---|---|
| العنوان: | شبهات المستشرقين النحوية في القرآن الكريم |
| المصدر: | مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة |
| الناشر: | جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالقاهرة |
| المؤلف الرئيسي: | الحداد، عيشة أبو الفتوح سيد أحمد |
| المجلد/العدد: | ع 22 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 2004 |
| الصفحات: | 866 - 954 |
| رقم MD: | 153167 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| اللغة: | Arabic |
| قواعد المعلومات: | AraBase |
| مواضيع: | نحو القرآن، المستشرقون، شبهات المستشرقين، دفع الشبهات، القرآن الكريم، إعراب القرآن، بلاغة القرآن، النحو، النحاة، الاستعمار، نصب الفاعل، خبر الاسم المؤنث، تأنيث العدد، جمع العدد، الضمير العائد على المثنى، نصب المضاف إليه، البحوث اللغوية، الاستشراق، الدراسات النحوية، اللغة العربية |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/153167 |

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

www.quranonlinelibrary.com

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الحداد، عيشة أبو الفتوح سيد أحمد. (2004). شبهات المستشرقين النحوية في القرآن الكريم.مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، ع 22، 866 - 954. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/153167

إسلوب MLA

الحداد، عيشة أبو الفتوح سيد أحمد. "شبهات المستشرقين النحوية في القرآن الكريم."مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرةع 22 (2004): 866 - 954. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/153167

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

# شبهات المستشرقين النحوية

# فى القرآن الكريم

بحث مقدم من

الدكتورة/ عيشة أبو الفتوح سيد أحمد

المدرس بقسم اللغويات

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

## تمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبى العربى الأمين.. وبعد.

فى هذا العصر تتزايد الهجمات على الإسلام من الشرق ومن الغرب سواء أكان فى صورة عسكرية كما يحدث فى بلادنا (العراق وفلسطين والشيشان وأفغانستان) أم فى صورة فكرية كما نراه على الإنترنت، وقد أخبرنا الحق سبحانه وتعالى فقال: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (٣٢ التوبة).

ومن الهجمات الفكرية هذه المسائل التى نشرها أحد المستشرقين تحت اسم مستعار وهو «عبد الله الفادى» فى صورة مشبهات يراها هو وغيره فى القرآن الكريم، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، فهو يقول – قال كذا وكان ينبغى أن يكون كذا – حاشا لله.

هذا وقد نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كتاباً فى الرد عليه وعلى غيره ولكن ذكرت مسائل اللغة مع المسائل البلاغية والعقائدية، فأخذت المسائل النحوية وأفردتها بهذا البحث حيث بحثت عن آراء النحاة والمفسرين فى هذه الشبهات وناقشت هذه المسائل حسب علمى، وإن كان قليلا.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

هذا وقد شغل أمر المستشرقين مساحة عريضة من الخريطة الفكرية لأمتنا وكثرت البحوث المتعلقة بالاستشراق والمستشرقين وتنوعت[1] هذه الأبحاث، وقد ألف المستشرقون وحققوا من تراثنا ما يزيد عن ستين ألف بحث ودراسة[2] استخدم المستشرقون مناهج المطابقة[3] والمقابلة فى دراسة النصوص الاسلامية ومنهم: جولد زيهر المجرى الجنسية واليهودى الديانة باعتباره أحد مؤسسى الدراسات الإسلامية فى أوروبا، وستوك هرجروميه الهولندى الجنسية الكالفينى الديانة والثقافة، وبيكر الألمانى وماكدونالد البريطانى الجنسية، ثم الأمريكى الذى تخصص فى إعداد المبشرين للعالم الإسلامى، ولويس ماسيليون الفرنسى الجنسية الكاثوليكى الديانة الذى برع فى دراسة التصوف الإسلامى، وغيرهم كثير.

وهكذا كان الاستشراق الوجه المفكر للاستعمار، وليس التخصص فى فروع المعرفة المتصلة بالشرق لمعرفة الشرق من جميع جوانبه، فهم يتقنون وضع السم فى العسل، والله من وراء القصد، وأرجو أن يتقبل منى هذا العمل.

**عناصر الدراسة:**

**أولاً:** تمهيد عن الاستشراق وأهدافه، وقد أشرت إليها إنفا.

**ثانيا:** شبهات المستشرقين النحوية فى القرآن الكريم، وهى كما يلى:

**الشبهة الأولى:** رفع المعطوف على المنصوب ونصب المعطوف على المرفوع.

- **الثانية:** نصب الفاعل.
- **الثالثة:** تذكير خبر الاسم المؤنث.
- **الرابعة:** تأنيث العدد وجمع المعدود.
- **الخامسة:** جمع الضمير العائد على المثنى.
- **السادسة:** الإتيان بالإسم الموصول العائد على الجمع مفردا.

---

(١) علي سبيل المثال لا الحصر، أنظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. حمداي زقزوق والمنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي للدكتور/ عبد العظيم الديب، والدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين للدكتور/ أحمد مكي الأنصاري، ومزاعم المستشرقين للاستاذ/ علي الحرقم.

(٢) انظر الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص٢١ وما بعدها.

(٣) انظر مذاهب التفسير الإسلامي، لجولد تسيهر، والأدب العربي لبروكلمان، وغيرها.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

- السابعة: جزم الفعل المعطوف على المنصوب.
- الثامنة: جعل الضمير العائد على المفرد جمعاً.
- التاسعة: نصب المضاف اليه.
- العاشرة: الإتيان بجمع الكثرة فى موضع جمع القلة.
- الحادية عشرة: جمع اسم علم حيث يجب إفراده.
- الثانية عشرة: الإتيان بالموصول بدل المصدر.
- الثالثة عشرة: وضع الفعل المضارع بدل الماضى.
- الرابعة عشرة: لم يأت بجواب لـ «لما».
- الخامسة عشرة: الإتيان بتركيب أدى الى اضطراب المعنى.
- السادسة عشرة: صرف الممنوع من الصرف.
- السابعة عشرة: الإتيان بتوضيح الواضح.
- الثامنة عشرة: الإتيان بفاعلين لفعل واحد.
- التاسعة عشرة: الإتيان بالضمير العائد على المثنى مفرداً.
- العشرون: الإتيان بالجمع مكان المثنى.

وما يلى هو الرد التفصيلى على الشبهات واحدة تلو الأخرى.


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الأولى

### رفع المعطوف على المنصوب ونصب المعطوف على المرفوع

نظر المستشرقون إلى قول الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون[1] والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٦٩ - المائدة)، وقالوا: إن فيها خطأ نحوياً حيث جاءت مرفوعة وهي معطوفة على منصوب وهم اسم «إن» في قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا﴾ وكان يجب أن ينصب المعطوف على اسم «إن» فيقول و«الصابئين» كما فعل هذا في سورة البقرة. قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٦٢ - البقرة).

وسورة الحج: قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شئ شهيد﴾ (١٧ - الحج).

**الرد على هذه الشبهة:**

تناول كثير من النحاة والمفسرين هذه الآية وتشعبت آراؤهم فيها، ونحاول اختصار آرائهم فيها على النحو التالي:

**أولاً: المذهب البصري ومن تبعه من المفسرين..** وخلاصته أن الصابئين مرفوع على أنه مبتدأ وخبره محذوف يجل عليه خبر ما قبله «إن الذين آمنوا» وتقديره عندهم «إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمنوا بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك.

وقد ذكر صاحب الإنصاف تقديراً آخر حيث قال - في هذه الآية تقديم وتأخير والتقدير فيها.. والصابئون والنصارى كذلك قال الشاعر:

---

(١) صبأ - الناب ونحوه صبأ صبوءا: برز، وصبأ من شئ الي شئ انتقل ويقال: صبأ الرجل: ترك دينه ودان بآخر، وصبأ عليه خرج وصبأ هجم فهو صابئ.
والصابئون - من يتركون دينهم ويدينون بآخر، والصابئون قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنهم علي ملة نوح، وقبلتهم مهب الشمال عند منتصف النهار، راجع اللسان "صبأ" والمعجم الوسيط ج١ باب الصاد.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف[1] والخمر

فرفع الخمر على الاستئناف فكأنه قال والخمر كذلك.

ثم يعلن النحاة عن وجه آخر:

وهو أن تجعل قوله تعالى: ﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾ خبراً للصابئين والنصارى، وتضم للذين آمنوا والذين هادوا خبرا مثل الذى أظهرت للصابئين والنصارى..[2].

ولا أعرف لماذا ضيق النحاة على أنفسهم ألا يصلح الخبر فى الآية لهذه الطوائف الأربعة:

١- الذين آمنوا.

٢- الذين هادوا.

٣- النصارى.

٣- الصابئون.

وتبع الإمام الشوكانى هذا الرأى فقال:

والصابئون مرتفع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمنوا منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك»[3].

وكذلك الزمخشرى فى الكشاف[4] وغيره[5].

وإن كان هذا هو المذهب البصرى فلا أدرى من أين أتوا به؟

وقد قال سيبويه:

---

(١) والعبيطات جمع عبيطة بفتح العين وهي القطعة من اللحم الطري، والسدائف جمع سديف وهي السنام، راجع أوضح المسالك رقم ٢٠٥ والشاهد فيه عطف الخمر علي عبيطات السدائف حيث جاء بالفاعل منصوباً والمفعول مرفوعاً علي طريقة من قال خرق الثوب المسمار، هذا علي رواية نصب طعنة ورفع علي من عبيطات و"الخمر". والرواية الثانية علي أن خمر فاعل لفعل محذوف دل عليه المذكور أي احلت له.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف ١/١٨٧ - ١٨٩ . (٣) فتح القدير ٢/٧١ .

(٤) الكشاف ١/٦٣٠ .

(٥) راجع تفاصيل هذه الآراء ومناقشتها في الدر المصون للسمين الحلبي ٤/٣٥٢ ومابعدها.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

«... واعلم أن ناساً من العرب يغلطون فيقولون: أنهم أجمعون ذاهبون، وإنك وزيد ذاهبان» ذاك أن معناه معنى الابتداء، فيسرى أنه قال هم كما قال ولا سابق شيئا إذا كان جائيا[1].

على ما ذكرت لك..

وأما قوله عز وجل «والصابئون» فعلى التقديم والتأخير كأنه ابتدأ على قوله «والصابئون» بعد ما مضى الخبر.

وقال الشاعر بشر بن أبى خازم[2]

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق[3]

كأنه قال: بغاة ما بقينا وأنتم[4].

والذى يتأمل فى كلام سيبويه يجده لم يذكر شيئاً عن حذف الخبر فى الآية بل كل ما ذكر أن الصابئون اعتراض من اسم «إن» وخبرها كأنها مبتدأ جديد وكلامه يوحى بأن الخبر للجميع، ولذلك استدل بقول الشاعر – بغاة ما بقينا البيت، ثم قال .. بغاة ما بقينا وأنتم.

وإذا كان مؤسس المدرسة البصرية لا يرى تقدير الخبر فلا داعى لهذه الفلسفة العقلية التى عرضها صاحب الإنصاف.

**ثانياً: المذهب الكوفى ومن تبعه:**

ثم عرض صاحب الإنصاف المذهب الكوفى حيث قال: ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على موضع «إن» قبل تمام الخبر واختلفوا بعد ذلك فذهب أبو الحسن على بن حمزة الكسائى إلى أنه يجوز ذلك على كل حال

---

(١) ديوان زهير ت ٣٨٧ والخزانة ٣/٦٦٥ والشاهد فيه إعمال اسم الفاعل تقوية للحمل علي المعني فإن معناه لست بمدرك ولا سابق.

(٢) ديوان الشاعر في ١٦٥، والانصاف ١٩٠، وأبي بعش ٨/٦٩ - ٧٠، والخزانة ٤/٣١٥، والعيني ١/٢٧١، والتصريح ١/٢٢٨ .

(٣) بغاة: جمع باغ من البغي وهو الظلم والعدوان، والشقاق الخلاف، وما مصدرية ظرفية أي إن استمر ما بيننا من شقاق عددنا جميعا بغاة.

والشاهد فيه وقوع الضمير المنفصل الذي محله الرفع وهو "أنتم" بين اسم "إن" وخبرها مسبوقاً بواو العطف فهو في تقدير الجملة أي وأنتم بغاة عطفت علي جملة "أنا بغاة".

(٤) الكتاب ٢/١٥٥ - ١٥٦ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
سواء كان يظهر فيه عمل «إن» أم لم يظهر نحو قولك إن زيداً وعمر قائمان، وانك وبكر منطلقان، وذهب أبو زكريا يحى ابن زياد الفراء إلى أنه لا يجوز ذلك إلا فيما لم يظهر فيه عمل إن، وذهب البصريون الى أنه لا يجوز العطف على الموضع قبل تمام الخبر.

ثم ذكر دليل الكوفيين من القرآن الآية التى نحن بصددها، ومن وجهة القياس قولهم بأن «إن» تقاس عندهم على «لا» فى نحو - لا رجل وامرأة أفضل منك فكذلك مع «إن» لأنها بمنزلتها وإن كانت إن للإثبات ولا للنفى، لأنهم يحملون الشئ على ضده كما يحملونه على نظيره[1]، ولن نسلم بهذا الكلام إلا بعد ذكر كلام الفراء وفهمه.

يقول الفراء:

فإن رفع «الصابئين» على أنه عطف على «الذين» و«الذين» حرف على جهة واحدة فى رفعه ونصبه وخفضه، فلما كان اعرابه واحداً وكان نصب «إن» نصبا ضعيفا وضعفه أنه يقع على الاسم ولا يقع على خبره، جاز رفع الصابئين ولا استجب أن أقول - إن عبد الله وزيد قائمان لتبين الاعراب فى عبد الله وقد كان الكسائى يجيزه لضعف «إن» وقد أنشدونا هذا البيت رفعاً ونصباً:

فمن يك أمس بالمدينة رحله ... فإنى وصار بها الغريب

ورفع «صار» ليس بحجة للكسائى فى إجازته إن عمراً وزيد قائمان لأن صيارا قد عطف على اسم مكنى عنه والمكنى لا اعراب له فسهل ذلك فيه كما سهل فى «الذين» إذا عطفت عليه الصابئون وهذا أقوى فى الجواز من «الصابئون» لأن المكنى لا يتبين فيه الرفع فى حال و«الذين» قد يقال اللذون فيرفع فى حال.

وأنشدنى بعضهم:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم ... بغاة ما حيينا فى شقاق[2]

قال الكسائى: أرفع «الصابئون» على إتباعه الاسم الذى فى هادوا ويجعله من قوله «إنا هدنا إليك» لا من اليهودية، وجاء التفسير بغير ذلك لأنه وصف

---

(١) الإنصاف ١/١٨٥ - ١٨٩ بتصرف.

(٢) سبق التعريف بالبيت ص .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ثم ذكر اليهود والنصارى فقال من آمن منهم فله كذا فجعلهم يهودا ونصارى»[1].

ونقل صاحب الإنصاف عن الفراء والكسائى يتسم بالدقة، ولكن إذا دققنا النظر فى كلام الفراء نجده يناقش الكسائى فهو فى أول الأمر يرى رفع الصابئون لأنه معطوف على اسم موصول «مكنى» لا يظهر فيه الرفع، والنصف والخفض.

ونرد عليه بالآيتين السابق ذكرهما آية البقرة (٦٢١) وفيها «الصابئون» منصوبة، وآية الحج أيضا (١٧)، وهذا يدفع قولهم «إن» ضعيفة فى العمل، أو أن الصابئون معطوفة على الذين هادوا لأنها هكذا فى الآيتين، وهذا يدل على أن الفراء والكسائى حاولا إيجاد تفسيرا للرفع عن التقديم والتأخير وتقدير خبر محذوف، ونشكر لهما هذا الجهد.

وقال الألوسى: «وقيل إن الصابئون عطف على محل «إن» واسمها وقد أجازه بعضهم ومنعه البعض. وقرأ أبى[2] وكذا ابن كثير والصابئين وهو الظاهر»[3].

وقال النحاس مناقشاً المفسرين فى أن «الصابئون» معطوف على الذين هادوا.. فقال: وقال الكسائى الأخفش.. والصابئون عطف على المضمر الذى فى هادوا.

وقال الفراء: إنما جاز الرفع لأن الذين لا يبين فيه الإعراب.

قال أبو جعفر: وسمعت أبا اسحاق يقول: وقد ذكر له الأخفش والكسائى: هذا خطأ من جهتين: أحدهما أن المضمر المرفوع يقبح العطف عليه حتى يؤكد. والجهة الأخرى أن المعطوف بشريك المعطوف عليه فيصير المعنى إن الصابئين قد دخلوا اليهودية وهذا محال وسبيل ما لا يتبين فيه الإعراب وما يتبين فيه واحدة[4].

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٣١٠ ت أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار / ط دار الكتب.

(٢) قراءة عثمان وأبي بن كعب وعائشة، وسعيد بن جبير والجحدري، والصابئين بالنصب، راجع المحتسب ٢١٧/١ - ٢١٨ .

(٣) روح المعاني للألوسي ٢٠/٦ - ٢١ .

(٤) إعراب القرآن ٣١/٢ - ٣٢ لأبي جعفر النحاس، ط عالم الكتب.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وذكر أبو البقاء في هذه الآراء وردها وأضاف وجهاً آخر بقوله: «إن الصابئون» في موضع نصب ولكنه جاء على لغة بلحارث الذين يجعلون التثنية بالألف على كل حال والجمع بالواو على كل حال وهو بعيد[1].

وما جاء به النحاة والمفسرون جواب شاف في رفع الصابئين في هذه الآية وبخاصة من قال إنه رفع العطفة على غير ظاهر.

وقد أدلى علماء البلاغة[2] بدلوهم في هذه الآية فقالوا إن مخالفة إعراب الصابئون عما قبلها سواء كانت مقدمة من تأخير على رأى الجمهور أم غير مقدمة على رأى الإمام والشوكاني وآخرين عما بعدها إن قدرنا «والنصارى» معطوفا على إن الذين آمنوا والذين هادوا، بأن هذه المخالفة لمحة بلاغية رائعة[3] وخلاصتها عند علماء البلاغة أن الصابئون ليس لهم كتاب ولا رسول وهم على ضلال مطبق لا ذرة من هداية فيه بخلاف الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والمقام الذى تتحدث عنه الآية هو فتح باب القبول عند الله لكل من آمن إيماناً صادقاً وداوم على عمل الصالحات فالإيمان يمحو ما قبله ولا ينظر الله الى ماضيهم الذى كانوا عليه من كفر ومصاعب والآية بدأت بالذين آمنوا يستمروا على ايمانهم الذى هم فيه ويلتزموا بعمل الصالحات والله سيجزيهم خير الجزاء على إيمانهم المستمر وصلاحهم الدائم[4].

ونجيب عليها بأنها مثل آية البقرة ولكن هذه الآية قبلها ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزلت اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفراً فلا تأسى على القوم الكافرين﴾ (٦٨ - المائدة).

وهذا ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله تحت عنوان «فصل فى ادعاء أن القرآن سوى بين جميع الأديان»، قالوا فى سورة المائدة ﴿إن الذين آمنوا

---

(١) التبيان في اعراب القرآن ٤٤٩/١ - ٤٥٠.

(٢) الدر المصون للسمين الحلبي ٣٥٢/٤ وما بعدها.

(٣) وقد ألمح عبد القادر الجرجاني في مقدمة كتابه دلائل الإعجاز ص٣١ عن هذه الآية فقال "إذا نظرتم الي قولنا زيد منطلق لم تحتاجوا من بعده الي شئ تعلمونه في الابتداء والخبر وحتي تزعموا مثلا أنكم لا تحتاجون في أن تعرفوا وجه الصح في «الصابئون» من سورة المائدة.

(٤) الدر المصون ٣٥٢/٤.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٦٩ - المائدة).

فساوى بهذا القول بين سائر الناس: اليهود والمسلمين وغيرهم، والجواب أن يقال أولا: لا حجة لكم فى هذه الآية على مطلوبكم، فإنه سوى بينكم وبين اليهود والصابئين وأنتم مع المسلمين متفقون على أن اليهود كفار من بعث المسيح اليهم فكذبوه، وكذا الصابئون من حيث بعث اليهم رسول فكذبوه، فهم كفار فإن كان فى الآية مدح لدينكم الذى أنتم عليه بعد مبعث محمد ﷺ ففيها مدح دين اليهود أيضاً، وهذا باطل عندكم وعند المسلمين.. وانما معنى الآية أن المؤمنين بمحمد ﷺ والذين هادوا الذين اتبعوا موسى عليه السلام وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل والنصارى الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وهم الذين كانوا على شريعته قبل النسخ والتبديل والصابئون وهم الصابئون الحنفاء كالذين كانوا مع العرب وغيرهم على دين ابراهيم واسماعيل واسحاق قبل التبديل والنسخ .. فهؤلاء الذين كانوا قبل مبعث موسى متمسكين بدين ابراهيم كانوا من السعداء المحمودين فهؤلاء الذين كانوا على دين موسى والمسيح وابراهيم ونحوهم الذين مدحهم الله تعالى ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا .. الآية﴾ وأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله ولا باليوم الآخر وعمل صالحاً كما قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ (٢٩ - التوبة)(١).

ومثل الآية السابقة: نصب المعطوف على المرفوع وهذا فى قوله تعالى: ﴿لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل الله وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيما﴾ (١٦٢ - النساء).

وقوله تعالى: ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء﴾ (١٧٧ - البقرة).

ففى الآية الأولى كلمة «المقيمين» حيث جاءت منصوبة مع عطفها على المرفوع وفى الآية الثانية «الصابرين» حيث جاءت منصوبة وعطفت على المرفوع.

---

(١) دقائق التعبير، ص٧٠ - ٧٢ لابن تيمية ج٣، تحقيق د/ محمد السيد الجليد.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

**الرد علي هذه الشبهة:**

أشهر الآراء فى هذه المسألة أن كلمة «المقيمين، والصابرين» نصبا على الاختصاص وهو مخالفة كلمة الإعراب ما قبلها بقصد المدح.

يقول سيبويه: هذا باب ما ينتصب على التعظيم والمدح. «إن شئت جعلته صفة فجرى على الأول وإن شئت قطعته فابتدأته وذلك قولك: الحمد لله الحميد هو (والحمد لله أهل الحمد) والملك لله أهل الملك.. ولو ابتدأته فرفعته كان حسناً.

ومثل ذلك قول الله عز وجل ﴿لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة﴾ (١٦٢ - النساء) فلو كان كله رفعا كان جيدا فأما المؤمنون محمول على الابتداء.

وقال جل ثناؤه ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس﴾ (١٧٧ - البقرة) ولو رفع الصابرين على أول الكلام كان جيداً ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيدا كما أبتدأت فى قوله تعالى ﴿المؤتون الزكاة﴾ (١٦٢ - النساء).

ونظير هذا النصب من الشعر هو قول الخرنق[1]:

لا يبعدن قومى الذين ... هم سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر[2]

فرفع الطيبين كرفع المؤتين[3]

---

(١) البيتان الخرنق بنت صفان من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة، راجع الخزانة ٣٠١/٢ والعيني ٦٠٢/٣، وابن الشجري ٣٤٤/١ .

(٢) المعني - الآفة، العلة والمرض، والجزر جمع جزور وهي الناقة تجزر والمعترك موضع ازدحام القوم في الحرب، وهي تصف قومها بالكرم والشجاعة فهم لأعدائهم يقضون عليهم، والشاهد: رفع الطيبين مع عطفها علي منصوب "النازلين". راجع الكتاب والهامش عليه ٢٠٢/١، ٦٣/٢ - ٦٤ .

(٤) الكتاب ٦٢/٢ - ٦٥ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
وتبعه أكثر المفسرين فى ذلك:

يقول الفراء: ﴿والموفون بعهدهم﴾ فترد الموفون على من والموفون من صفة «من» كأنه من آمن ومن فعل وأوفى ونصبت «الصابرين» لأنها من صفة «من» وانما نصبت لأنها من صفة اسم واحد فكأنه ذهب به الى المدح والعرب تعترض من صفات الواحد إذا تطاولت بالمدح أو الذم فيرفعون إذا كان الاسم رفعا وينصبون بعض المدح فكأنهم ينوون افراج المنصوب بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام، ومن ذلك قول الشاعر:

النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر

وربما رفعوا «النازلون» و«الطيبون» وربما نصبوهما على المدح والرفع على أن يتبع آخر الكلام أوله[1].

ويرى الزمخشرى والعكبرى أن النصب فى الآيتين على الاختصاص[2].

أما الأخفش فيرى النصب على عامل مضمر فيقول: «ثم نصب الصابرين على فعل مضمر» كما قال «لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون» ثم قال و«المقيمين» فنصب على فعل مضمر، ثم قال: «المؤتون الزكاة» فيكون على الراسخين ثم ذكر البيت. النازلين بكل معترك ...[3].

وذكر الألوسى خلاف النحاة فى المسألة فقال:

«وقال الكسائى هو مجرور بالعطف على ما أنزل اليك على أن المراد بهم الأنبياء وقيل المراد بهم الملائكة، والبصريون لا يجيزون ذلك لما فيه من العطف على الضمير المجرور دون اعادة الجار.

والصواب والمقيمون وهى فى مصحف عبد الله وهى قراءة مالك بن دينار والجحدى وعيسى الثقفى ثم الظاهر أن المقيمين على قراءة الرفع معطوف على سابقه وينزل أيضاً التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى والعطف على ضمير «يؤمنون» ليس بشئ وكذا الحال فى قوله «والمؤتون الزكاة»، مثله آية المائدة «والصابئون».

---

(١) معاني القرآن للفراء ١٠٤/١ - ١٠٥ .

(٢) الكشاف ٥٨٢/١، والتبيان ٢٠٢/١ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٣٤٨/١ - ٣٤٩ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

والألوسى يعرض المسألة دون أن يذكر رأيه[1] وإذا كان نصب «المقيمين» حمله بعضهم على العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجار فماذا يقولون في الآية الثانية «والصابرين». وقد عرض الدكتور/ أحمد مكى الأنصارى رد الأستاذ الدكتور ابراهيم مصطفى وهو قوله «أن المسند إليه مرفوع. ولا ريب أن «اسم إن» مسند إليه فحقه أن يكون مرفوعا لا منصوبا، ذلك هو الأصل فيه وقد جاء مرفوعا فى الشعر والنثر وفى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾ غير أنه لا ينكر النصب أيضا بل هو الغالب عليه. لكنها غلبة استعماله وليست غلبة الأصول.

ولا نتحرج أن نقول: إن النحاة قد أخطئوا فهم هذا الباب وتدوينه ثم تجرءوا على تغليط العرب فى بعض أحكامه ..

ورد اسم إن مرفوعا فى الشعر وفى القرآن الكريم وفى الحديث، ففى القرآن الكريم ﴿قالوا إن هذان لساحران﴾ (٦٣ - طه)، فذهب النحاة يتأولون أعسف تأويل بمعنى حكمهم فى أن «اسم إن» لا يكون إلا منصوبا.

وورد فى الحديث «إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون»، فلحنوا رواية وعطف عليه بالرفع ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٦٩ - المائدة)[2].

ثم قال: «قد يستطيع سيبويه أن يرد بعض ما سمع من العرب وسهل عليه أن يخطئ محدثاً فيما روى فماذا يصنع بالآية الكريمة؟ لا سبيل إلى الرفض ولا إلى التخطئة ولكنك تعلم أن البصريين قد مضوا فى التأويل إلى أبعد مدى.. يقولون فى آية ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾ «إن» الصابئون» مبتدأ قدر له خبره وقد يصحح هذا التأويل وجه الإعراب على رأى البصريين ولكنه يقطع الجملة تقطيعا غير مقبول..

وإذا تركنا حكم النحاة لحظة ونظرنا أسلوب العرب فيما بعد «إن» وجدنا

---

(١) روح المعاني للألوسي ٢/ ٤٥ - ٤٦، وراجع الانصاف المسألة ٦٥ ج٢ ص٢٧٣٢ .

(٢) الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين القسم الأول ص٩٦ - ٩٧، ومشكل اعراب القرآن ١/ ٢٣٢ - ٢٣٣ .


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
أنهم لمحوا حقه فى الرفع، فورد عنهم مرفوعا وعطفوا عليه بالرفع وأكبروه بالرفع أيضا، وذلك شاهد لما رأينا من أن الموضع للرفع، وأنه وجه الكلام فى «إسم إن» ولكنا لا ننكر أنه ورد منصوبا وكان النصب هو الغالب عليه فمن أين جاءه النصب وغلب عليه؟ ..

وأخيراً قال: فقد رأيت أن «إسم إن» أصله الرفع وأن رفعه صحيح جائز وان التزام الأصل الذى بيناه - وهو أن المسند اليه مرفوع - قد أطرد فى الكلام..[1].

وكلام الدكتور/ أحمد مكى وأستاذه/ ابراهيم مصطفى هو أحسن ما رأيت فى هذه المسألة حيث رد على عطف الاسم «المقيمين» و«الصابئون» إلى أنه على الأصل فالأصل فى اسم «إن» الرفع وإذا نصب المعطوف فهو الغالب فى الاستعمال كما فى قوله تعالى ﴿إن هذان لساحران﴾ حيث ورد المثنى مرفوعا بعد «إن».

لكن لا يعليه عتاب يسير فسيبويه لم يقل بتأويل أو تقديم خبر فى قوله تعالى ﴿الصابئون والنصارى﴾ فعبارته واضحة، وأما قوله عز وجل «والصابئون» فعلى التقديم والتأخير كأنه ابتدأ على قوله «والصابئون» بعد ما مضى الخبر.

وقد ذكر صاحب الإنصاف المذهب البصرى معتمداً على نص سيبويه وقلت أن كلامه يوحى بأن الخبر للجميع وأن قوله «والصابئون» كأنه بداية كلام أو اعتراض بين اسم «إن» وخبره أما مذهب سيبويه وأكثر المفسرين فى «المقيمين والصابرين» أن النصب على الاختصاص وارادة المدح دون تقدير عامل وقد استدل سيبويه على رأيه.

هذا وإن كان القرآن الكريم غير محتاج إلى شواهد شعرية أو نثرية لبيان صحة أساليبه فللنحاة المتشددين والمستشرقين نقول:

إن النصب فى المعطوف على المرفوع أو الرفع فى المعطوف على المنصوب أسلوب يتسم بالبلاغة والتنويع فى الأداء فمجئ اعراب الصابرين مخالفا لإعراب ما قبلها ليلفت الحق سبحانه أذهان العباد الى أهمية الصبر وكذلك فى

---

(١) إحياء النحو لأستاذنا المرحوم ابراهيم مصطفى، ص٦٤ فما بعدها.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المقيمين حيث أهمية الصلاة وهذا يوضح أن كل كلمة قطع اعرابها عما قبلها ثابت هذه الكلمة مناب ثلاثة قيم بيانية رامزة الى وجودها فى المقام وإن كانت محذوفة وهى:

١- عامل الرفع أو النصب فى الاختصاص وهو أمدح أو أخص.

٢- إفادة المدح بغير الألفاظ التى تدل عليها.

٣- الإيجاز البيانى المفعم بالمعانى العظيمة[١].

وأختتم هذه المسألة بقول الدكتور/ أحمد مكى الأنصارى: «وفى رأينا أن بعض النحاة قد أسرفوا على أنفسهم، وجاوزوا الحد اللائق بهم وبالبحث المنهجي فأنكروا قراءة الرفع فى الآية وهاجموها هجوماً عنيفاً كما أنكروا قراءة النصب[٢] كذلك.

فاللغة العربية أوسع من أن يحيط بها عالم بصرى أو كوفى ورحم الله أبا العلماء.. أبا عمر بن العلاء إذ يقول: ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم واقراً لجاءكم علم وشعر كثير[٣].

وهذا كلام يتسم بالدقة والوضوح وربما كان ولع النحاة والمفسرين بتطبيق القاعدة قبل فهم المعنى قد دفع المستشرقين إلى ما قالوا ..

وأختم كلامى فى هذه المسألة بحديث ابن القيم الممتع حيث قال:

«وينبغى ينفطن ههنا لأمر لابد منه وهو أنه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز وجل ويعتبر بمجرد الاحتمال النحوى الاعرابى الذى يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما، فإن هذا مقام غلط فيه اكثر المعربين للقرآن الكريم فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ويفهم من ذلك التركيب أى معنى اتفق وهذا غلط عظيم يقطع لسامع بأن مراد القرآن غيره، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى فى سياق آخر وكلام آخر فانه لا يلزم أن يحتمله القرآن.. مثل قول بعضهم فى قوله تعالى: ﴿لكن الراسخون فى

---

(١) الدر المصون ٤/١٥٥ للامام شهاب الدين المعروف بالسمين الحلبي.

(٢) المقصود قراءة [إن هذان لساحران] راجع البحر ٦/٢٥٥ والنشر في القراءات العشر ص١٢١ .

(٣) الدفاع عن القرآن ١٠١ - ١٠٢ .

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة» أن المقيمين مجرور بواو القسم ونظائر ذلك أضعاف اضعاف ما ذكرنا وأو هي بكثير بل للقرآن عرف خاص ومعاير معهودة لا يناسبه تفسير بغيرها ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه فإن نسبة معانيه الى المعاني كنسبة ألفاظه الى الألفاظ بل أعظم، فكما أن الفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التى يعجز عنها قدر العالمين وكذلك أجب المعانى وأعظمها وأفخمها فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعانى التى لا تليق به بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم فلا يجوز حمله على المعانى القاصرة بمجرد الاحتمال النحوى الاعرابى[1].

(١) التفسير القيم ص٢٦٨ - ٢٦٩ لابن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور/ محمد حامد الفقي، ط دار الكتب العلمية.


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الثانية

# نصب الفاعل

**منشأ هذه الشبهة:**

هو قوله تعالى: ﴿وإذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال: ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ (١٢٤ - البقرة).

اطلعوا على هذه الآية في المصحف الشريف ووقع بصرهم على كلمة «الظالمين» وصورت أوهامهم أن فيها خطأ نحوياً لأنها - عندهم - فاعل والفاعل حكمه الرفع لا النصب فكان حقه أن يكون هكذا.

لا ينال عهدي الظالمون لأنه جمع مذكر سالم وعلامة رفعه الواو وبهذا تخيلوا، بل توهموا أن القرآن لا سمح الله، قد أخطأ فنصب الفاعل، «الظالمين» ولم يرفعه الظالمون هذا هو منشأ هذه الشبهة.

**الرد على هذه الشبهة:**

الفعل «نال» فعل متعد الى مفعول واحد، قال الله تعالى: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً﴾ (٢٥ الأحزاب). الفاعل واو الجماعة والمفعول خيرا.

أما في هذه الآية ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فالفاعل هو عهدي مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة لـ ياء المتكلم» والمفعول به هو الظالمين وعلامة نصبه هي الياء لأنه جمع مذكر سالم ينصب ويجر بالياء، والمعنى: لا ينفع عهدي الظالمين ومجيء الظالمين منصوبا هو قراءة الجمهور من القراء.

يقول الفراء: وقوله ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ (١٢٤ - البقرة) يقول - لا يكون للمسلمين إمام مشرك وفي قراءة عبد الله ﴿لا ينال عهدي الظالمون﴾ وقد فسر هذا لأن ما نالك فقد نلته كما تقول نلت خيرك ونالني خيرك..[1].

وهذا الكلام يدل على أن الفعل «نال» فاعله يجوز أن يكون مفعولا ومفعوله يجوز أن يكون فاعلا على التبادل بينهما. لأنك ما نالك فقد نلته أنت.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٧٦/١ ومعاني القرآن للأخفش ٢٣٤/١ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقال الزجاج: «وقد قرئت لا ينالك عهدى الظالمون، والمعنى فى الرفع والنصب واحد لأن النيل مشتمل على العهد وعلى الظالمين إلا أنه منفى عنهم والقراءة الجيدة هى على نصب الظالمين لأن المصحف هكذا فيه وتلك القراءة جيدة «بالغة» إلا أنى لا أقرأ بها، ولا ينبغى أن يقرأ بها لأنها خلاف المصحف، ولأن المعنى أن ابراهيم عليه السلام كأنه قال: واجعل الإمامة تنال ذريتى «واجعل» هذا العهد ينال ذريتى قال الله ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾ فهو على هذا أقوى أيضا ..»[1].

وأكد النحاس هذا الكلام فقال: «.. وحكى عن محمد بن يزيد أنه قال – المعنى يوجب نصب الظالمين – قال الله عز وجل لإبراهيم ﷺ ﴿إنى جاعلك للناس إماما﴾ فعهد اليه بهذا فسأل ابراهيم فقال عز وجل ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾ لا أجعل إماماً ظالماً.

وروى عن ابن عباس أنه قال: سأل ابراهيم أن تجعل من ذريته إمام فعلم الله عز وجل أن فى ذريته من يعصى، فقال: ﴿لا نيال عهدى الظالمين﴾[2].

وقد جاء قوله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ (٣٧ – الحج) على خلاف نسق آية البقرة، فالحق سبحانه وتعالى مفعول به ولحومها فاعل[3]، والمعنى – لن يصل الله لحومها، أما فى قوله تعالى: ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾ الواقع بعد الفاعل هو المفعول «الظالمين».

والفاعل هو عهدى مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة لياء المتكلم لأنه جمع مذكر سالم ينصب ويجر بـ «الياء» والمعنى لا ينفع عهدى الظالمين...

وهكذا تكون سقطت شبهتهم فى الآية.

---

(١) اعراب القرآن للزجاج ص٢٠٥ ج ١ .

(٢) اعراب القرآن للنحاس ٢٥٨/١ – ٢٥٩، وراجع البحر ٣٨/١ وراجع الكشاف ٩٢/١ .

(٣) الكشاف ٣/ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الثالثة

## تذكير خبر الاسم المؤنث

ويرى ذلك المستشرقون في قوله تعالى: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ (٥٦ - الأعراف).

وموضع الشاهد - عند المعترضين - في الآية الكريمة هو كلمة«قريب» وهي خبر اسم «إن» رحمة - فتوهم هؤلاء المستشرقين أن فيها خطأ نحويا منشؤه عدم التطابق بين المبتدأ رحمة والخبر «قريب» في التأنيث، وكان يجب أن يتبع الخبر «إن» اسمها في التأنيث فيقال قريبة.

**الرد على هذه الشبهة:**

ذكر الكثير من علماء النحو والتفسير توجيها لهذا التذكير في الخبر «قريب» : نكتفي بما ذكروه بما يرد كيد هؤلاء الطاعنين في نحورهم وأفضل ما قدم تفصيلا لهذه المسألة وجوابا شافيا لسر تذكير الخبر فيها هو الإمام ابن القيم، ونلخص كلامه في هذه المسألة على النحو التالي:

يقول ابن القيم: قول الله تعالى ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ فيه تنبيه ظاهر على أن فعل هذا المأمور به هو الإحسان المطلوب منكم ومطلوبكم أنتم من الله رحمته القريبة من المحسنين الذين فعلوا ما أمروا به من دعائه خوفاً وطمعاً فقرب مطلوبكم منه وهو الرحمة بحسب أدائكم لمطلوبه منكم وهو الاحسان الذي هو في الحقيقة اسحان الى أنفسكم. فإن الله هو الغني الحميد، وإن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم. ثم قال: وأما الإخبار عن الرحمة وهي مؤنثة بالتاء بقوله «قريب» وهو مذكر ففيه اثنا عشر مسلكا نذكرها ونبين ما فيها من صحيح وسقيم ومقارب.

**المسلك الأول:**

أن فعيلا على ضربين يأتي بمعنى فاعل كقدير والثاني يأتي بمعنى مفعول - كقتيل، وجريح، فإذا كان بمعنى فاعل فقياسه أن مجرى مجراه في الحاق التاء به مع المؤنث دون المذكر فنقول - إمرأة جميلة ورجل شريف أما

www.quranonlinelibrary.com
الذى بمعنى مفعول إذا حجب الموصوف فإنه يستوى فيه المذكر والمؤنث كرجل قتيل وإمرأة قتيلة.

وإن لم يصحب الموصوف فإنه يؤنث ومنه قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ الى قوله ﴿والنطيحة﴾.

فإذا تقرر ذلك فقريب فى الآية هو فعيل بمعنى فاعل وليس المراد أنه بمعنى قارب بل بمعنى اسم الفاعل العام ولكنه أجروه مجرى فعيل بمعنى مفعول فلم يلحقوه التاء..

وقد يجرى مجراه فى الحاق التاء محملوا قريبا على امرأة قتيل فى عدم الحاق التاء حملا لكل مد البابين على الآخر..

ونظيره قوله تعالى: ﴿قال من يحى العظام وهى رميم﴾ فحمل رميما بمعنى فاعل على امرأة قتيل وبابه فهذا المسلك هو من أقوى مسالك النحاة، وعليه يعتمدون وقد اعترف عليه بثلاث اعتراضات أحدها.. أن ذلك يستلزم التسوية بين اللازم والمتعدى ففعيل بمعنى مفعول بابه الفعل المتعدى، وفعيلاً بمعنى فاعل بابه الفعل الازم.

ثانياً: أن هذا إدعاء على وجه العموم وليس له ضابط يحكمه.

ثالثاً: أن العرب قد نطقت فى فعيل بالتاء وهو بمعنى مفعول وجردته من التاء وهو بمعنى فاعل.

فيقولون امرأة فتين[1] فجردوه من التاء وهو بمعنى فاعل، وإمرأة فروك وهلوك[2] وهى بمعنى فاعل وخروقة فقرنوه بالتاء وهو بمعنى فاعل أيضاً، فدعوى أصالة المجرد منها وشذوذ المقرون مقابلة بمثلها ومع مقابلها قياس اللغة فى اقتران المؤنث وتجريد المذكر.

أما قوله تعالى: ﴿من يحى العظام وهى رميم﴾ فهو على وفق قياس العربية فعظام جمع تكسير يراعى فيه التأنيث فقال وهى ويراعى فيه المعنى الواحد وباعتباره قال «رميم» مع أن رميماً يطلق على المذكر مفردا وجمعا..

---

(١) بمعني مسرحة الشعر.

(٢) الفروك المبغضة لزوجها والهلوك كعبور الفاجرة المتساقطة علي الرمال.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المسلك الثاني:

تأويل «الرحمة» بمذك موافق له في المعنى، فالرحمة في معنى الغفران فلذلك جاء الخبر قريب مذكراً واختار هذا الرأى – النفرين شميل والزجاج يقول: «وعلى هذا يكون التذكير قرينة على صحة حمل» رحمة الله على غفران الله أو رضوانه»[1].

واعترض ابن القيم باعتراضين أحدهما أنه لو جاز تأويل المؤنث بمذكر يوافقه وعكسه لجاز أن نقول – كلمتيني زيد .. والثاني – أن حمل الرحمة على الاحسان إما أن يكون حملا على حقيقته أو مجازه وهما ممتنعان فإن الرحمة والاحسان متغايران لا يلزم من أحدهما وجود الآخر.

المسلك الثالث:

إن «قريب» من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه مع الالتفات الى المحذوف فكأنه قال – إن مكان الرحمة قريب من المحسنين ثم حذف المكان وأعطى الرحمة اعرابه وتذكيره ..

ورده ابن القيم بقوله: «وهذا المسلك ضعيف جدا لأن حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه لا يسوغ ادعاؤه مطلقا والا لا لتلبس الخطاب وفسد التفاهم.

المسلك الرابع:

انه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه فكأنه قال – إن رحمة الله شئ قريب من المحسنين، وعلى هذا المسلك حمل سيبويه قولهم للمرأة – حائض وطامث[2] كأنهم قالوا شئ حائض وشئ طامث.

وكان ابن القيم معترضاً على هذا المسلك.

وهذا المسلك ضعيف بثلاثة أوجه:

أحدهما – أن حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه انما يحسن بشرطين أن تكون الصفة خاصة بالموصوف.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٨٠ وراجع معاني الأخفش ١/ ٥١٩ .

(٢) راجع قوله: كأنك قلت: هذا شئ حائض ثم وصفت به المؤنث، الكتاب ٣/ ٢٣٧.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الثانى – أن تكون الصفة قد غلب استعمالها مؤدة على الموصوف كالبر والفاجر أى الرجل البر أو الفاجر.

ثانيا: أن تقدير «شئ قريب» لا فائدة فيه لأنه أعم المعلومات ولا يحسن تفسير كلام الله بمجرد الاحتمال النحوى الإعرابى.

ثالثاً: أن طالقاً أو حائضا لا فائدة للتاء فيه لأنها صفات خاصة بالمرأة وسيبويه يؤخذ من قوله ويرد وقد تقترن الصفة الخاصة بالتاء عند ارادة الفعل لا مجرد الوصف فيقول – مرضع لمن لم تتزوج لأنها صفة للأنثى أما إذا قلت – مرضعة أى ترضع بالفعل لا بالقوة والتهيؤ كما فى قول الحق سبحانه: ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ (٢ – الحج).

**المسلك الخامس:**

ان هذا باب اكتساب المضاف حكم المضاف اليه إذا كان صالحا للحذف والاستغناء عنه بالثانى كقول الشاعر:

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها مـــر الريـــاح النواســـم[1]

ورده ابن القيم بأنه مسلك ضعيف لأن مجيئه فى الشعر ولا يعرف فى الكلام الفصيح ويأخذ حكم الندور.

ثم ذكر مسالك أخرى منها:

**المسلك الثامن:**

أن الرحمة مصدر والمصادر لا تؤنث واستضعفه ابن القيم حيث قال: لأن الحق قال ﴿ورحمتى وسعت كل شئ﴾ فحيث ذكر الرحمة أجرى عليها التأنيث.

**المسلك التاسع:**

أن القريب يراد به شيئان – النسب والقرابة، والثانى قرب المكان، فالأول بالتاء والثانى بدون التاء.

---

(١) ديوان ذي الرمة ص٦١٦ واللسان «سفه» جعل النساء في اهتزازهن حين يمشين بمنزلة الرماح تستخفها الرياح فتحركها .. والنواسم – الضعيفة الهبوب والشاهد فيه اكتساب المضاف التأنيث من المضاف اليه ويروي – مرفتي الرياح لا شاهد فيه، راجع الكتاب ١/٥١ – ٥٣ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهذا مذهب الفراء والأخفش:

قال الفراء: «ذكرت قريبا لأنه ليس بقرابة فى النسب ..»[1].

وقال ابن القيم – وهو ايضا ضعيف فإن هذا إذا كان لفظ القريب ظرفاً فإنه يذكر كما يقول – جلست المرأة منى قريبا، فأما إذا كان اسما محضا فلا.

**المسلك العاشر:**

أن الرحمة مؤنث غير حقيقى مثل الشمس، فنقول – طلع الشمس، طلعت.

وهذا المسلك قال بفساده لأن الفعل اسند إلى الضمير فلابد من التاء، كقولك الشمس طلعت، ولا تقول طالع لأن فى الصفة ضميرها فهى بمعنى الفعل فى ذلك سواء.

**المسلك الحادى عشر:**

أن قريباً مصدر لا وصف وهذا المسلك مردود لأن قريب ليس مصدراً وانما هو وصف والمصدر هو «قرب» لا قريب.

**المسلك الثانى عشر:**

أن فعيلاً وفعولاً يستوى فيهما المذكر والمؤنث حقيقا كان أو غير حقيقى.

وهذا المسلك ضعيف أيضاً وممن رده عبد الله مالك فقال – هذا القول ضعيف لأن العرب استعملت فعول وفعيل ولم تكن إحداهما تابعة للأخرى وهما مختلفان لفظا ومعنى..ه

وأفضل ما ذكره فى هذه المسألة المسلك السادس والسابع، وفى رأى أحسن ما ذكر فى هذه المسألة يقول ابن القيم:

**المسلك السادس:**

أن هذا من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر لكونه تبعاً له ومعنى من معانيه.. ومنه قوله تعالى: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ (٦٢ – التوبة).

المعنى – والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك فاستغنى باعادة الضمير الى

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٨١ – ٣٨٢ ومعني للأخفش ج١، ص٥١٩ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
الله إذ إرضاؤه هو ارضاء رسوله فلم يحتج أن يقول يرضوهما.

فعلى هذا يكون الأصل فى الآية – إن الله قريب من المحسنين وأن رحمة الله قريبة من المحسنين فاستغنى بخبر المحذوف عن جر الموجود ويسوغ ذلك ظهور المعنى.

فإذا كانت الرحمة صفة من صفات الحق فهى قائمة بالموصوف لا تفارقه فإذا كانت الرحمة قريبة من المحسنين فالموصوف تبارك وتعالى أولى بالقرب منه بل قرب رحمته تبع لقربه هو تبارك وتعالى من المحسنين..

ففى حذف التاء ههنا تنبيه على هذه الفائدة العظيمة الجليلة وأن الله تعالى قريب من المحسنين وذلك يستلزم القربين قربه وقرب رحمته..

**المسلك السابع:**

ولو قال إن رحمة الله قريبة من المحسنين لم يدل على قربه تعالى منهم لأن قربه أخص من قرب رحمته والأعم لا يستلزم الأخص بخلاف قربه فإنه لما كان أخص استلزم الأعم وهو قرب رحمته ..

فهو مسلك سابع فى الآية وهو المختار وهو أليق ما قيل فيها، ومعنى ابن القيم يقول – وان شئت قلت قربه سبحانه من المحسنين وقربه رحمته منهم متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر .. فإذا كانت رحمته قريبة منهم فهو أيضاً قريب منهم وإذا كان المعنيان متلازمين صح ارادة كل واحد منهما فكان فى بيان قربه سبحانه وتعالى من المحسنين من التحريض على الاحسان واستدعائه من النفوس وترغيبها فيه غاية حظ لها وأشرف وأجله على الإطلاق..[1].

ما أحسن كلام ابن القيم فى هذه المسألة لقد سبق النحاة والمفسرين حيث جعل مجئ «قريب» فيه من الخصوصية ما ليس فى قرب الرحمة وأن فيه من التحريض على الاحسان والاستدعاء اليه وصدق الحق فى الحديث القدسى فى قوله «من تقرب إلى شبراً تقربت اليه ذراعاً ومن تقرب اليه ذراعا تقرب منه باعاً» والله أعلم.

## الشبهة الرابعة

(١) راجع بدائع الفوائد ٣/ ٢ - ٢٤ بالاختصار وانظر التفسير القيم ص٢٥٨ - ٢٧٩ .


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com


يرى المستشرقون هذه الشبهة فى قوله تعالى: ﴿**وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا الى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشر عينا قد علم كل أناس مشربهم**﴾ (١٦٠ - الأعراف).

فقالوا: كان يجب أن يذكر العدد، ويأتى بمفرد المعدود فيقول - اثنى عشر سبطاً.

**ونرد عليهم في هذه الشبهة فنقول:**

يرى النحاة والمفسرون أن تأنيث العدد فى الآية لأن السبط فى بنى اسرائيل كالقبيلة عند العرب يعنى أنه اراد بالأسباط القبائل، ولذلك أنث جزئى العدد المركب وهما: اثنتى وعشرة[1].

يقول الألوسى عن رأى النحاة:

«أسباطاً» كما قال ابن الحاجب فى شرح المفصل يدل من العدد لا تمييز له وإلا لكانوا ستة وثلاثين وعليه.. فالتمييز محذوف أى فرقه أو نحوه.

قال الحوفى: إن صفة التمييز أقيمت مقامه والأصل فرقة أسباطاً، وجوز أن يكون تمييزاً لأنه مفرد تأويلا فقد ذكروا أن السبط مفرداً ولد الولد أو ولد البنت أو الولد أو القطعة من الشئ أقوال ذكرها ابن الأثير، ثم استعمل في كل جماعة من بنى اسرائيل كالقبيلة فى العرب والعلة تسمية لهم باسم أهلهم كتميم وقد يطلق على كل قبيلة منهم أسباطاً.. فلهذا وقع موضع المفرد فى التمييز[2].

وفيها وجه آخر وهو تأويل السبط بالجماعة أو الفرقة، لذلك أنث العدد مراعاة لجانب المعنى.

يقول سيبويه:

«وزعم يونس عن رؤية أنه قال: ثلاث أنفس على تأنيث النفس كما يقال ثلاثة أعين للعين من الناس وكما قالوا: ثلاث أشخص فى النساء، وقال الشاعر

---

(١) الدر المصون ٥/٤٨٥.

(٢) روح المعاني للألوسي ٩/٨١٧.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهو رجل من بني كلاب(١)

وإن كلابا هذه عشر أبطن وأنت برئ من قبائلها العشر(٢)

فأنث أبطنا إذ كان معناها القبائل ...(٣).

فهذا النص يفيد أن تأنيث العدد وتذكيره يأتي لمراعاة المعنى واللفظ فقد أنث العدد عشر أبطن أن المعدود هو القبيلة أي عشر قبائل وهذا باب واسع في العربية، وقد أكد الفراء والأخفش هذا الوجه:

قال الفراء:

«اثنتي عشرة والسبط ذكر لأن بعده اسم فذهب التأنيث الى الاسم، ولو كان اثنتي عشر لتذكير السبط كان جائزا .... »(٤).

وقال الأخفش:

«اثنتي عشرة أسباطا أراد اثنتي عشرة فرقة ثم أخبر أن الفرق أسباط ولم يجعل العدد على الأسباط(٥).

وقد أضاف بعض النحاة وجها ثالثا وهو بدلية أمما من أسباطاً وأن أمما وقعت نعتاً وأسباطا وأمما مؤنثة لفظا وسواء كانت أمما بدلا من أسباطا أو نعتا له فإن الذي لا خلاف فيه أن المؤنث لا يبدله من المذكر ولا يقع نعتاً له وهذا يدل على أن اسباطا وان كان مذكرا لفظاً فهو مؤنث معنى ولذلك أنث القرآن الكريم جزئي العدد المركب – اثنتي عشرة وقد فسر الزمخشري الكلام فقال:

«لو قطعناهم» وصيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف. «اثنتي عشرة أسباطا» كقولك ... اثنتي عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثنتي عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام.

---

(١) هذا الرجل هو النواح الكلابي وانظر المقتضب ١٨٤/٢ والخصائص ٤١٧/٢ والانصاف ٧٦٩ والعيني ٤٨٤/٤ والجمع ١٩٤/٢ .

(٢) والشاهد فيه، تأنيث الأبطن وحذف الهاء من العدد جعلها حملا للبطن علي معني القبيلة بقرينة ذكر القبائل.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٩٧/١ .

(٤) معاني القرآن للفراء ٣٩٧/١ .

(٥) معاني الأخفش ٥٣٤/٢ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

فإن قلت – مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعاً وهلا قيل اثنتى عشر سبطا «قلت» لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لأن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحى مالك ونهشل... البيت.

و «أمما» بدل من اثنتى عشرة بمعنى وقطعناهم أمما لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى ولا تكاد تأتلف ....»[1].

فقد فهمنا من الزمخشرى معنى كلمة «قطعناهم» ومعنى «أسباطا» وتأنيث العدد حملا على المعنى لأن «السبط» فى معنى القبيلة وأن الأمم بدل لذلك جمع المعدود لكى يناسب الفعل، «قطعناهم» بالتشديد وهذا يفيد التكثير أى كثرة التقطيع والتفريق وهذا يدحض ما ذهب اليه المستشرقون.

---

(١) الكشاف ٢/٩٨ - ٩٩. وراجع التبيان ١/٥٩٩ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## جمع الضمير العائد على المثنى

وهذا فى قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ (١٩ - الحج).

قالوا - كان يجب أن يثنى الضمير العائد على المثنى فيقول: خصمان اختصما فى ربهما.

**فنرد عليهم بحول الله وقوته فنقول:**

فى اللغة طريقتان فى التعبير وهما ١- طريقة مراعاة اللفظ. ٢- مراعاة المعنى. فإذا أجمع القرآن الضمير العائد على المثنى فهو من باب مراعاة المعنى قبل اللفظ.

فالمثنى فى القرآن نوعان - مثنى حقيقى قال تعالى: ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾ (٢٣ - المائدة) فرجلان مثنى وواحدة رجل لذلك قال الحق «عليهما».

والنوع الثانى - المثنى اللفظى قال تعالى: ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع﴾ (٢٤ - هود).

وعند الحديث عن هذا النوع قد يعود الجمع لأن الفريين جماعة وجمع.

ففى آية الحج ﴿هذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾ كان الضمير بصيغة الجمع لأن المراد ليس شخصان بل مجموعتين من الناس، وهذا ما نص عليه المفسرون.

يقول الفراء «الخصمان فريقان أهل دينين والخصم الواحد المسلمون والآخر اليهود والنصارى، اختصموا فى دين ربهم وقال - اختصموا لأنهم جميع ولو قال اختصما لجازم»[1].

وذكر كلامه النحاس وعلق عليه قائلا: «وهذا تأويل من لا درية له

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢١٩/٢ والبحر المحيط ٣٥٩/٦ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
بالحديث ولا يكتب أهل التفسير لأن الحديث فى هذه الآية مشهور رواه سفيان النووى وغيره عن أبى هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد قال: سمعت أبا ذر يقسم قسماً إن هذه الآية نزلت فى حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وهكذا أروى أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد ابن عباس[1].

وربما كان تأويل النحاس مقبول ولكن المؤكد أن الطائفتين أكثر من شخص فالمثنى غير حقيقى.

ومثلها فى سورة الحجرات قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ (٩ – الحجرات). قال الفراء: ولم يقل: اقتتلتا وهي فى قراءة عبد الله اتخذوا بلينهم مكان فأصلحوا بينهم»[2].

وذكر العالم المستشرق أجنتس جولدتسهر هذه الآية فقال: «اقتتلوا» حيث يعود ضمير جمع المذكر اقتتلوا على مثنى المؤنث «طائفتان» فقد اراد بعض القراء مطابقة قواعد النحو فقرأ أحدهم «ابن أبى عبلة» أقتلتا «واكتفى آخر بقراءة اقتتلا ...»[3].

وهذا يدل على انتفاء المستشرق لما فعله بعض القراء والنحاة لمحاولة مطابقة قواعد النحو دون مراعاة المعنى.

وقد وضح الزمخشرى فقال: «الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل – هذان فوجان أو فريقان مختصمان وقوله – هذان للفظ، واختصموا للمعنى كقوله – ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون.

قال ابن عباس: رجع الى اصل الأديان الستة «فى ربهم» أى فى دينه وصفاته...»[4].

وقال أبو البقاء: «اختصموا إنما جمع حملا على المعنى لأن كل خصم فريق فيه أشخاص...»[5].

---

(١) اعراب القرآن للنحاس ٩٣/٣.
(٢) معاني القرآن للفراء ص٧١ ج٣.
(٣) مذاهب التفسير الإسرمي لجولدتسهر ص٦٦، ترجمة د/ عبد الحليم النجار.
(٤) الكشاف ٩٢/٣.
(٥) الثنيان ٩٣٧/٢.


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ويبدو أن المفسرين اختلفوا في أن «هذان خصمان» مراعاة اللفظ، واختصموا بضمير الجمع مراعاة للمعنى... وهذا خطأ فادح منهم لأن كل لفظة في القرآن جاءت مراعاة للفظ والمعنى معا.

فالمثنى – هذان خصمان مثنى حقيقي وفيه مراعاة لذهن المخاطب لأننا نرى فريقين أهل الايمان وأهل الكفر ، فإذا قال الحق «اختصموا» أفاد سبحانه تبادل الخصومة بين جميع افراد الخصمان من أول وهلة، وكذلك لما قال سبحانه «في ربهم» فالله سبحانه رب المؤمن والكافر، وقد جاء هذا في القرآن غير مرة كما في آيةالحجرات ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ (٩ – الحجرات). وذلك لأن الخصومة والاقتتال مدعاة للتشعب والفرقة اما الإيمان فهو دعوة للتوحد وعدم الفرقة، فسبحان من هذا كلامه الذى لم يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة السادسة

## أتي باسم الموصول العائد على الجمع مفرد

جاء في سورة التوبة آية ٦٩ ﴿وخضتم كالذى خاضوا﴾ قالوا: وكان يجبل أن يجمع اسم الموصول العائد على ضمير الجمع فيقول: خضتم كالذين خاضوا»

وقبل هذه الآية ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما الذين من قبلكم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ (٦٩ - التوبة).

**الرد علي هذه الشبهة:**

هذه الآية وردت فى سياق الحديث عن المنافقين لأن قبلها ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ (٦٨ - التوبة).

ثم عمد الحق الى تشبيه المنافقين والكفار «المخاطبين» بالأمم السابقة كانوا أشد منهم قوة وأكثر فى الأموال والأولاد فاستمتعوا بحظهم فى الدنيا الفانية كما يستمتع الكفار والمنافقين بحظهم فى الدنيا.

ثم شبه الخوض عند المخاطبين من الكفار والمنافقين بخوض الذين من قبلهم والمعنى - وخضتم خوضا مثل خوضهم.

يقول الفراء: «فاستمتعتم» أى أردتم ما أراد الذين من قبلكم. وقوله ﴿وخضتم كالذى خاضوا﴾ يريد - كخوضهم الذى خاضوا»[1].

ويقول الزمخشرى: «الخوض الدخول فى الباطل واللهو» كالذى خاضوا، كالفوج الذى خاضوا وكالخوض الذى خاضوه.

فإن قلت - أى فائدة فى قوله - فاستمتعوا بخرقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذى خاضوا عن أن

---

(١) معاني القرآن للفراء ٤٤٦/١ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يقال: وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا. قلت: فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها.. ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنسبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول - أنت مثل فرعون - وأنت تفعل مثل فعله وأما وخضتم كالذى خاضوا بمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باستناده اليه عن تلك التقدمة...[1].

وإذا كان الزمخشرى اختار وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا حيث شبه خوض المخاطبين من الكفار والمنافقين كخوض الأمم السابقة.

واختار الإمام الشوكانى: «أن المعنى: كالخوض الذى خاضوا»[2].

فالذى فى الآية اسم موصول مفرد يعود على المصدر المفهوم من الفعل الماضى «خضتم» فشبه سبحانه خوض المنافقين بخوض الذين من قبلهم فالمراد تشبيه سلوك اللاحقين وفعلهم سلوك السابقين من الأمم الغابرة التى عنت فى أمر ربها وعصت رسله...»[3] والله تعالى أعلم.

---

(١) الكشاف ٢/١٦١ - ١٦٢ .

(٢) فتح القدير ٢/٤٣٣ .

(٣) الدر المصون ٦/٨٤ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

الشبهة السابعة

جزم الفعل المعطوف على المنصوب

جاء فى سورة المنافقون آية (١٠): ﴿وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾.

وقال المستشرقون: وكان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب فيقول: «فأصدق وأكون».

الرد على الشبهة:

القرآن الكريم أوسع من قواعد اللغة وهو مصدر إثبات للغة فى نفسها وطرق استعمالها وقد وجه علماء اللغة النحاة والمفسرون جزم الفعل «أكن: لأن الأسلوب قبله يحمل معنى الشرط وهو قوله «لولا أخرتنى» فكأنه قيل – إن أخرتنى أصدق وأكن من الصالحين.

يقول سيبويه «هذا باب الحروف التى تنزل بمنزلة الأمر والنهى لأن فيها معنى الأمر والنهى».

وسألت الخليل عن قوله عز وجل «فأصدق وأكن من الصالحين».. فقال هذا كقول زهير:

بدالتى أنى لست مدرك ما معنى ولا سابق شيئا إذا كان جائيا[1]

فإنما جروا هذا، لأن الأول قد يدخله الباء فجاءوا بالثانى وكأنهم قد أثبتوا فى الأول الباء فكذبت هذا لما كان الفعل الذى قبله قد يكون جزماً ولا فاء فيه تكلموا بالثانى وكأنهم قد جزموا قبله، فعلى هذا توهموا هذا..[2].

فسيبويه يرى جر كلمة «سابق» على توهم دخول الباء كما يرى جزم «أكن» لأن الفعل قبله فى جواب شرط فهم من قوله «لولا أخرتنى» ثم قال –

---

(١) سبق التعريف بهذا البيت، راجع ديوان زهير ص٢٨٧ والخزانة ٣/٦٦٥ وشرح شواهد المغني ص٩٨، ومعناه: إن المرء لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا.

واستشهد به سيبويه لاعمال «سابق» ان الفاعل المنون ومرة أجري لجر «سابق» علي التوهم فتأته قال – لست بمدرك ولا سابق ..... راجع هامش الكتاب ١/١٦٤ – ١٦٥، ٣/١٠٠ – ١٠١ .

(٢) الكتاب ٣/١٠٠ – ١٠١ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وكأنهم قد جزموا قبله.

ويقول الفراء:

«وإذا أحسبت الاستفهام بالفاء فنصبت فانصب المعطوف وإن جزمتها فصواب من ذلك قوله فى المنافقين.

﴿لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن﴾ رددت وأكن على موضع الفاء لأنها محل جزم إذا كان الفعل إذا وقع موقعها بغير الفاء جزم.

والنصب على أن ترده على ما بعدها فتقول «وأكون» وهى فى قراءة عبد الله بن مسعود وأكون بالواو وقد قرأ بها بعض القراء، قال - وأرى ذلك صوابا لأن الواو ربما حذفت من الكتاب وهى تزاد لكثرة ما تنقص وتزاد فى الكلام ألا ترى أنهم يكتبون «الرحمن» وسليمن بطرح الألف والقراءة باثباتها فلهذا جازت ....[1].

وكلام الفراء يتضمن أمرين - أولهما - أن «أكن» مجزومة على موضع الفاء ويجوز النصب وهى قراءة عبد الله بن مسعود وقد وافق على هذه القراءة ابن عطيه وأبو على الفارسى[2].

ثانيهما: أنه يرى أن القراءة «أكون» بالواو صوابا على حذف الواو كما تحذف الألف من «الرحمن» و «سليمن».

والفراء كان يكفيه أن يقول أن النصب قراءة بدون التماس علة لحذف الواو فالفعل إما مجزوم محذوف الواو ساكن النون لأنه فعل معتل الوسط بالواو «أجوف»، ولا يحذف الواو منه الا سكن آخره إذا دخل عليه جازم أو عطف على مجزوم ومثل هذه الآية: ﴿ومن يضلل فلا هادى له ويذرهم﴾ جزم فجزم «يذرهم» على انه عطف على موضع الفاء لأن موضعها يجزم اذا كانت جواب المجازاة[3]... ولا أدرى اين الاستفهام الذى أشار اليه الفراء ووقع فيه الأخفش حيث قال: «وأكن» على موضع «فأصدق» لأن جواب الاستفهام إذا لم يكن فيه فاء جزم وقد قرأ بعضهم «فأصدق وأكون» عطفها على ما بعد الفاء..[4].

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/٨٧ .

(٢) راجع المحرر الوجيز ١٦/٢٣ والحجة في القراءات ٤/٣٨٦ .

(٣) معاني الأخفش ١/٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٤) نفس المرجع ١/٢٢٦ - ٢٢٧ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

والذى يقوى أن جزم الفعل «أكن» على نسبة الشرط «التمنى».. يقول الألوسى: «فأصدق جواب لولا أخرتنى ومعناه - هلا أخرتنى وجزم «وأكن» على موضع فأصدق على معنى إن أخرتنى أصدق وأكن من الصالحين[1] وتبعه الزمخشرى والبيضاوى فى هذا الرأى[2] وأرى أن التوجيه بأن الفعل مجزوم على تضمن عبارة التمنى «لولا أخرتنى إلى أجل قريب» أو على نية الشرط فى أول الآية كما وده الخليل وسيبويه والتمنى يناسب الجو النفسى عند المحتضر فهو يطمع فى المستحيل لذلك تمنى ذلك.

(١) روح المعاني ١٧٨/٥ .

(٢) راجع الكشاف ١١٢/٤ وحاشية الشهاب علي البيضاوي ٢٠٠/٨ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الثامنة

## جعل الضمير العائد على المفرد جمعا

جاء في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم**﴾ (١٧ - البقرة).

وكان يجب أن يجعل الضمير العائد على المفرد مفردا فيقول: «استوقد . ذهب الله بنوره».

**الرد علي هذه الشبهة:**

وقبل الرد نذكر الآيات السابقة لهذه الآية: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ (٨ - البقرة).

فالحق سبحانه يتحدث عن المنافقين ثم يستمر الى أن قال ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ (١٦ - البقرة).

﴿مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون، صم بكم عمى فهم لا يرجعون﴾.

يقول ابن القيم:

شبه سبحانه أعداءة المنافقين بقوم أوقدوا نارا لتضئ لهم وينتفعوا بها فلما أضاءت لهم النار فأبصروا فى ضوئها ما ينفعهم وما يضرهم وأبصروا الطريق بعد أن كانوا حيارى تائهين فهم كقوم سفر ضلوا عن الطريق فأوقدوا النار يضئ لهم الطريق فلما أضاءت لهم فأبصروا وعرفوا طفئت عنهم تلك الأنوار وبقوا فى الظلمات لا يبصرون ...[1].

كان القيم قد وضح معنى التشبيه فى الآيات حيث شبه سبحانه حال المنافقين بمثل رجل طلب ايقاد نار للانتفاع بها فى تحقيق الرؤية فلما أضاءت النار ما حوله ذهب الله بهذا النور فأظلمت عليه الدنيا فوقع فى حيرة وارتباك.

أما الأمر الذى أظهره هذا المستشرق لماذا جمع الضمير فى قوله - «بنورهم» - قد ذهب فيه النحاة والمفسرون اتجاهات غير مستساغة.

---

(١) التفسير القيم ص١١٤ - ١١٥ .


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يقول الفراء: وانما قال الله عز وجل: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ لأن المعنى ذهب الى المنافقين فجمع لذلك ولو وحد لكان صواباً. كقوله ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون﴾ ويغلى فمن أنت ذهب الى الشجرة ومن ذكر ذهب الى المهل[1]، وكلام الفراء فى أوله صواب عندما قال ذهب الى المنافقين، أما قوله ولو وحد كان صواباً هذا غير مقبول فألفاظ القرآن أصوب الألفاظ وأعلاها وكذلك معانيه، ووجدت بعض المستشرقين ينكرون المعنى دون النظر فى علة جمع الضمير فى قوله «بنورهم».

فيقول الزجاج: «ذهب الله بنورهم» معناه والله أعلم اطلاع الله المؤمنين على كفرهم، ويجوز أن يكون ذهب الله بنورهم فى الآخرة..[2] ومن نظر منهم فيها جاوز الصواب حيث قالوا – أن «الذى» يأتى بمعنى الفرد والجمع.

يقول البيضاوى «أراد بالذى جنس المستوقد لا فرداً معيناً[3].

ويقول الزمخشرى: فإن قلت – كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت .. وضع الذى موضع الذين كقوله ﴿وخضتم كالذى خاضوا﴾، والذى صوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران:

أحدهما: أن الذى لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه فى كلامهم، ولكونه مستطالا جعلته حقيق بالتخفيف ولذلك فهكوه بالحذف فحذفوا باءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها فى اسماءالفاعلين والمفعولين ... والثانى: أن جمعه ليس بمنزلة جمع ميز بالواو والنون.

ألا ترى أن سائر الموصلات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد .. أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذى استوقد ناراً على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وانما

---

(١) معاني القرآن للفراء ١٦/١ .

(٢) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٩٢/١ - ٩٣ وراجع النحاس ١٩٣/١ .

(٣) أنوار التنزيل ٣٠/١ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ..﴾ الآية[1].

وكلام الزمخشرى نرد أوله ونقبل آخره فالذى لا يستعمل بدل «الذين» ولا يمكن أن يكون فى الآية «الذين»: حذف منها والا ستكون «مثلهم كمثل الذين استوقد نارا» فيتكلم عن الفعل بالافراد «استوقد، وحوله». فالحق سبحانه وتعالى وهو أعلم – يشبه فعل بفعل وقصة بقصة فالتوجيه البلاغى لجمع الضمير فى «بنورهم» هو إظهار المثل والتشبيه، ولو قلنا – الذى استوقد ذهب الله بنوره وتركه فى ظلمات لا يبصر لتحول الكلام الى غير المنافقين لهم المثل خاصة وهذه الآية تربط الآيات السابقة بالآيات التالية لها فقد قال الحق بعدها ﴿صم بكم عمى فهم لا يرجعون ..﴾.

ولابن القيم كلام عجيب لو تأملناه لأدركنا أسرار عجيبة فى هذه الآية فنراه يقول: «وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾. كيف طابق بين هذه التجارة الخاسرة التى تضمنت حصول الضلالة والرضى بها بدلا من النور الذى هو الهدى والنور.

وتأمل كيف قال الله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ فوحده ثم قال: ﴿وتركهم فى ظلمات﴾ فجمعها فإن الحق واحد وهو صراط الله المستقيم الذى لا صراط يوصل اليه سواه وهو عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ «صلى الله عليه وسلم»[2].

ثم يقول:

قال ابن عباس وغيره من السلف مثل هؤلاء فى نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً فى ليلة مظلمة فى مفازة فاستضاء ورأى ما حوله فاتقى ما يخاف بينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقى فى ظلمته خائفا متاحيرا. كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان آمنوا على أموالهم وأولادهم وناكحوا المؤمنين ووارثوهم

---

(١) الكشاف ١/٣٨ .

(٢) التفسير القيم ص١١٦ - ١١٧ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فإذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف. قال مجاهد: اضاءة النار لهم إقبالهم المسلمين والهدى وذهاب نورهم: اقبالهم الى المشركين والضلالة ....[1].

وهكذا فالمراد تشبيه صورة الذى استوقد نارا .... الخ انه بحال المشركين الذين يظهرون الايمان ويخفون الكفر لذلك كشف الله أمرهم وذهب بنورهم فصاروا صم بكم عمى لا يدركون الحق فلما لم ينتفعوا بأسماعهم وابصارهم وقبولهم نزلوا منزلة من لا سمع له ولا معبر ولا عقل.

---

(١) نفس المرجع ص١٢٣ .


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة التاسعة

## نصب المضاف اليه

في سورة هود قال تعالى: ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور﴾ (١٠ - هود).

يقول المستشرقون: كان يجب أن يجر المضاف اليه فيقول: «بعد ضراء».

**فنرد عليهم فنقول:**

المضاف اليه في الآية «ضراء» مجرور لا منصوب وهو ممنوع من الصرف والمانع له من الصرف الف التأنيث الممدودة والممنوع من الصرف يرفع بالضمة وينصب ويجر بالفتحة وجره بالفتحة نيابة عن الكسرة، فالفتحة فيه علامة جر لا علامة نصب. ويجر الممنوع من الصرف بالفتحة إلا إذا أضيف أو اقترن بالألف واللام.

ويقول ابن مالك:

وجر بالفتحة ما لا ينصـــرف ... ما لـم يضـف أو يـك بعـــد ال ردف[1]

فـألـف التـأنيث مطلقـــا ... منـع صـرف الذى حـواه كـيـفـمـا وقع

وقال ابن هشام:

«ما لا ينصرف فإنه يجر بالفتحة نحو: «بأفضل منه» إلا أن أضيف أو دخلت ال نحو بأفضلكم و «بالأفضل»[2].

وقلما كان المستشرق لا يعلم اللغة فلم يدرك أن الممنوع من الصرف يجر بالفتحة.

---

(١) ألفية ابن مالك ص٦٣٣ - فما بعدها.

(٢) شذور الذهب ص٣٧ .


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة العاشرة

## الإتيان بجمع الكثرة في كموضع جمع القلة

هذه الشبهة عندهم لها وجهان:

أولاً: يرون أن القرآن أتى بجمع الكثرة في موضع جمع القلة وهذا في قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قد اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا يعلمون﴾ (٨٠ - البقرة).

حيث علقوا قائلين:

كلمة «معدودة» جمع كثرة فكانت ينبغي أن يجمعها جمع قلة فيقول معدودات، كما في قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ (٢٤ - آل عمران).

**الرد على الشبهة:**

هذه الشبهة تظهر مدى جهلهم باللغة فمعدودة ليست جمع كثرة ولا معدودات جمع قلة، ولكن الكلمتان صفة لأيام فمعدودات جمع معدودة وهي وصف المذكر غير العاقل «أيام» وتعرب اعراب جمع المؤنث[1] السالم مثل معلومات كما في قوله ﴿الحج أشهر معلومات﴾ (٢٤ - آل عمران) .. أما معدودة صفة جاءت في هذه الآية لمعاملة جمع المذكر غير العاقل معاملة الجماعة..[2].

وهذه الآية والتي بعدها «آية البقرة، وآل عمران: ٢٤» نزلت تحكي قولا لليهود حيث أنهم يدعون كذبا أنهم يدخلون النار اربعون يوما التي عبدوا فيها العجل.

يقول الفراء:

«وقوله - إلا أيامنا معدودة» يقال: كيف جاز في الكلام لأتينك اياما

---

(١) يقول الشاطبي في ألفيته:

وقسه من ذي التي ونحو ذكري ... ودرهم مصغر وصحرا

وزينب ووصف غير العامل ... وغير ذا مسلم للناقل

(٢) درة التنزيل ص١٧، ١٨ للحريري وأسرار النحو ١٤٦/١ لأستاذنا الدكتور/ محمد يسري زعير.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

معدودة ولم يبين عددها وذلك أنهم نووا الأيام التى عبدوا فيها العجل فقالوا – لن نعذب فى النار إلا تلك الأربعين ليلة التى عبدنا فيها العجل، فلما كان معناها مؤقتا معلوما عندهم وصفوه بمعدودة ومعدودات فقال الله – قل يا محمد هل عندكم من الله عهد بهذا الذى قلتم ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾[1] .. وكذا ذكره أكثر المفسرين[2].

وقال الزجاج: ومعنى «أياما معدودة» قالوا انما نعذب لأننا عبدنا العجل أياما قيل فى عددها قولان، قيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما وهذه الحكاية عن اليهود هم الذين قالوا ﴿لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾[3]. وقال: فى «اياما معدودات».

جاء فى التفسير أنهم قالوا انما نعذب أربعين يوما عبد آباؤنا العجل فأعلم الله تبارك وتعالى أن ذلك فرية منهم وأنه هو الذى غرهم ..[4] إلا أن هـذا الافتراء والظن الكاذب غرهم.

ومما يدل على أن معدودات القلة قوله تعالى: ﴿واذكروا الله فى ايام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه﴾ (٢٠٣ – البقرة).

يقول الزجاج: قالوا: هى أيام التشريق «معدودات» يستعمل كثيرا فى اللغة للشئ القليل – وكل عدد قل أو كثر فهو معدود ولكن معدودات أدل على القلة لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء نحو دريهمات وجماعات.

وقد يجوز وهو حسن كثير أن تقع الألف والتاء للكثير، وقد ذكر أنه عيب على القائل[5].

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من فجوة دما[6].

فقيل له لم قلت الجفنات ولم تقل الجفان.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/ ٥٠ وبدائع الفوائد ١٩٣/٤ والكشاف ١٨٢/١ .

(٢) اعراب القرآن للنحاس ٢٤١/١ ومذاهب التفسير الاسلامي ١٨٦ – ١٨٧ .

(٣) اعراب القرآن للزجاج ١٦١/١ . (٤) نفس المرجع ٣٩٢/١ .

(٥) البيت لحسان بن ثابت ديوانه ص٣٧١، والخصائص ٢٠٦/٢ وابن يعيش ١٠/٥ والخزانة ٤٣٠/٣ والعيني ٢٥٧/٤ .

(٦) استشهد به سيبويه على أنهم قد يجمعون بالتاء وهو يريدون الكثير والمعنى مدح الشاعر قومه بالكرم حيث جفانهم معدة للضيفان ومساكن الحي بالغداة ويمدحهم بالشجاعة في قوله – أسيافنا.. الخ..راجع هامش الكتاب ٥٧٨/٣ واعراب القرآن للزجاج ٢٧٥/١ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهذا الخبر - عندى - ممنوع لأن الألف والتاء قد تأتى للكثرة. قال الله عز وجل ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ (٣٣ - ٣٥ الأحزاب).

وقال ﴿فى جنات﴾ (١١ - يونس)، فالمسلمون ليسوا في جنات قليلة ولكن إذا خص القليل فى الجمع بالألف والتاء فالألف والتاء أدل عليه لأنه يلى التثنية نقول - حمام حمامان حمامات فتؤدى بناء الواحد، فهذا أدل على القليل، وجائز حسن أن يراه به الكثير ويدل المعنى المشاهد على الارادة كما أن قولك جمع يدل على القليل والكثير[1].

فكلام الزجاج يدل على أن معدودات قد يراد بها الكثرة وقد يراد بها القلة والمعنى المشاهد هو الذى يدل على المراد وأضيف إليه أن معدودات يدل على القلة فبعدها ﴿فمن تعجل فى يومين﴾ فأيام الجمع معدودة وكذلك ايام الصيام. انظر الى قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات﴾ (١٨٣ - ١٨٤ - البقرة).

فأيام الصيام ثلاثين يوما أو تسعة وعشرين فاستخدم الحق كلمة معدودات فى وصف أيام الجمع وأيام الصيام والأيام التى ادعى فيها اليهود كذبا دخولهم النار فيها وهذا العدد يتراوح ما بين الأربعين والثلاثين أو أقل.

فليس المراد فى الصيام أو فى الجمع اعتبار القلة أو الكثرة، بل المراد التنويه بفضل هذه الأيام وعلو منزلتها عند الله تعالى والقلة تفهم من سياق الكلام، فقد قال سبحانه ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (١٨٥ - البقرة).

ولا شك أن اليهود أرادوا تقليل الأيام التى تمسهم النار فيها ولكن الأليق أن نتساءل لماذا عبر سبحانه فقال: ﴿أياما معدودات﴾، وقال فى أخرى ﴿أياما معدودة﴾ فمعدودة ليست جمع بل هى وصف للأيام وهو وصف غير العاقل جار على الأصل وجاءت كذلك لأن آية البقرة مبينة على الإيجاز أما الآية فى آل عمران فمبينة على الإطناب، ففى أول آية البقرة «وقالوا» وفى أول آية آل عمران «ذلك بأنهم» هذه العبارة اشتملت على اسم الاشارة الموضوع للبعيد ثم الباء فى بأنهم ثم «إن» التى تفيد التوكيد، ثم ضمير الجماعة «هم» إذا المقامان

---

(١) معاني القرآن واعرابه ١/٢٧٥ - ٢٧٦.


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

مختلفان، أحدهما ايجاز والثاني إطناب فلذلك أفرد الوصف في آية البقرة وجمع الوصف في آية آل عمران[1].

ولكن اللفظ «معدودات أو معدودة» تدل على القلة، والقرآن استخدم ذلك في غير موضع.

قال تعالى: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ (٨ – هود).

وقال سبحانه: ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين﴾ (٢٠ – يوسف).

يقول الزمخشري عن آية (٨ – هود) «إلى أمة معدودة» الى جماعة من الأوقات[2].

وقال عن آية يوسف «وشروه» وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً أو زيف ناقص العيار «دراهم» لا دنانير معدودة، قليلة تعد عداً ولا توزن لأنهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية وهي الأربعون ويعدون ما دونها، وقيل للقليلة معدودة لأن الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها[3].

وهكذا كان هذا اللفظ المراد منه تقليل العدد سواء كان جمعا مثل معدودات أو وصفا مثل معدودة مؤنث معدود والمقام هو الذي يحدد المعنى المراد، وتبارك من هذا كلامه.

---

(١) انظر ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه به من أي التنزيل ٢٨١/١ للعلامة أحمد بن الزبير القرناطي، ط دار النهضة العربية، تحقيق الأستاذ / سعيد الفلاح.

(٢) الكشاف ٢٠٩/٢.

(٣) الكشاف ٢٤٧/٢.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الحادية عشرة

## جمع اسم علم حيث يجب افراده

جاء في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين سلام على إلياس إنه من عبادنا المؤمنين﴾ (١٢٣ - ١٣٠ - ١٣٢).

فمن الخطأ لغويا تغيير اسم العلم حبا في السجع المتكلف، وفي سورة «التين» قال تعالى: ﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾ (١ - ٣ - التين).

فلماذا قال سينين بالجمع عن سيناء فمن الخطأ لغوياً تغير اسم العلم حباً في السجع المتكلف.

فهم سيقولون إن القرآن تحدث عن الياس والضمائر العائدة عليه حديث المفرد ثم عاد فجمع «إلياس» وهو علم مفرد جمع المذكر السالم المجرور بـ «الياء» هكذا «إلياسين» ثم قالوا: لماذا قال الياسين بالجمع عن إلياس المفرد.

### الرد علي هذه الشبهة:

عرض المفسرون وعلماء اللغة عدة توجهات لجمع إلياس على إلياسين فالإمام الزمخشري قال مرة. إن زيادة الياء والنون ربما كان له معنى في اللغة السريانية، وقال: إن الياسين لغة في الياس كما أن إدريسين لغة في إدريس وعلى هذا فإن الياسين ليس جمعاً، وإذا كان جمعاً فإن المراد الياس مضموما اليه مد أمس به من قومه كما قالوا الحبينون والمهلبون في الحبيب والمهلب أي تسمية الأتباع اسم المتبوع[1].

ويقوى هذا الوجه قراءة نافع وابن عامر وعلي «آل ياسين وياسين وأن ياسين هو أبو» إيليا» واحد من أنبياء بني اسرائيل[2]. ويرى هذا الرأى آخرون[3].

---

(١) الكشاف ٣/٣٥٢ واعراب القرآن للنحاس ٣/٤٣٦ - ٤٣٧ .

(٢) الدر المصون ٩٣/٣٢٨ .

(٣) راجع معاني القرآن للفراء ٢/٣٩١ وعلل القراءات ٥٧٩ والقراءات السبعة لابن مجاهد ص٥٤٩ واعراب القرآن للزجاج ٤/٣١٢ وروح المعاني للألوسي ٢/٩٣٢ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وذكر ابن القيم هذه المسألة بالتفصيل حيث قال: قول الله تعالى: ﴿سلام على إلياسين﴾ (١٣٠ - الصافات) فهذه الآية فيها قراءتان:

أحداهما: إلياسين بوزن اسماعيل وفيه وجهان: أحدهما: أنه جمع إلياس وأصل إلياسين بياءين كعبرانيين خففت إحدى الياءين فقيل ك غلياسين والمراد اتباعه كما حكى سيبويه: الأشعرون مثله الأعجميون. والثاني: أنه جمع إلياس محذوف الياء.

والقراءة الثانية: ﴿سلام على آل ياسين﴾ وفيه أوجه:

**احداهما:** أن «ياسين» اسم لأبيه فأضيف اليه الآل كما يقال آل ابراهيم.

**والثاني:** أن «آل ياسين» هو إلياس نفسه فيكون «آل» مضافة إلى «ياسين» والمراد بالآل: ياسين نفسه كما ذكر الأولون.

**والثالث:** انه على حذف ياء النسب فيقال - ياسين وأصله ياسيين كما تقدم وآلهم أتباعهم على دينهم.

**والرابع:** أن «ياسين» هو القرآن وآله هم أهل القرآن.

**والخامس:** أنه النبي ﷺ وآله وأقاربه وأتباعه وهذه الأقوال كلها ضعيفة.

والذى حمل قائليها عليها استشكالهم إضافة آل الى «ياسين» واسمه «الياس» و «الياسين» ورووها في المصحف مفصولة وقد قرأها بعض القراء «آلياسين».

فقال طائفة منهم، له أسماء ياسين والياسين والياس، وقالت طائفة ياسين اسم لغيره .. ثم اختلفوا، فقال الكلبي: ياسين محمد ﷺ.

وقالت طائفة: هو القرآن.. وهذا كله تعسف ظاهر لا حاجة اليه ثم يقول عن الرأى الصحيح:

«والصواب - والله أعلم - في ذلك أن أصل الكلمة «آل ياسين» كآل ابراهيم فخففت الألف واللام من أدلة لاجتماع الأمثال ودلالة الاسم على موضع المحذوف وهذا كثير في كلامهم.. ولا سيما عادة العرب في استعمالها للاسم الأعجمي وتغييرها له فيقولون مرة إلياسين ومرة إلياس مرة ياسين وربما قالوا ياسى.


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ويكون على إحدى القراءتين قد وقع السلام عليه، وعلى القراءة الأخرى على آله[1].

وإذا كان ابن القيم يرى الصواب فى أن أصل الكلمة آل ياسين وحذفت الألف واللام لأن فيه اجتماع الأمثال.

ويرى الأستاذ رؤوف سعد:

أن «إلياس» .. ورد مرتين فى حالة المنع من الصرف للعلمية والعجمة أما فى سورة الصافات جاء مصروفا «إلياسين» وعلامة صرفه التنوين أما الياء فتولد عن إشباع الكسرة تحت السين[2] أى أن أصله فى حال الصرف «إلياسين» فلما اشبعت الكسرة صال إلياسين وأن المقتضى لصرفه هذا هو رؤوس الأى.

وهذا الكلام عندى بعيد لأن صرف ما لا ينصرف صنفه علماء اللغة من الضرائر وهذا مما نزه عنه القرآن ولرى أن نطق «إلياسين» لغة فى «الياس» أو قراءة أو المقصود به آل ياسين كما يرى ابن القيم وهو قريب العقل والاستعمال العربى.

أما قوله تعالى «وطور سينين» فليس قوله سينين جمعاً بل هى لغة فى سيناء بكسر السين وقد قرأت بفتح السين، وقد سمع الفراء هذه الآية بآية الصافات فقال: قال تعالى: ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ (٢٠ - المؤمنون).

وقال جل وعز «وطور سينين» (٢ - التين) قال وهما بمعنى واحد وموضوع واحد وشرح هذا أن الياسى اسم أعجمى والأسماء الأعجمية إذا وقعت الى العرب غيرتها بضروب من التغيير فيقولون - ابراهيم «ابراهم» و«ابراهام» وهكذا ايضا سيناء وسينين والياس والياسين ويسى فى قراءة ﴿سلام على آل ياسين﴾ بمعنى واحد[3].

وبهذا يتضح أن «سينين» لغة فى «سيناء» والله تعالى أعلم.

---

(١) التفسير القيم ص٤١٧ - ٤١٨ نقلا عن جلاء الأفهام ص١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) اعجاز القرآن «العلم الأعجمي مفسرا بالقرآن» ١٦٧/٢ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٩١/٢ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الثانية عشرة

## الإتيان بالموصول بدل المصدر

**منشأ هذه الشبهة:**

هو قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ (١٧٧ - البقرة).

قد قالوا إن فى الآية إتيان باسم الفاعل بدل المصدر، يعنون بذلك قوله «ولكن البر من آمن بالله»، وليس فى الآية اسم فاعل وهم - قطعا - يقصدون من آمن ومن هذا اسم موصول وصلته آمن أى الذى آمن، هذا وللعلماء رأى فى توجيه وقوع من آمن خبرا عن البر وهو خلاف الأصل، لأن البر معنى ذهنى ومن آمن ذات والذات لا يخبر بها عن المهنى.

يقول سيبويه: هذا باب استعمال الفصل فى اللفظ لا فى المعنى لا تساعدهم فى الكلام والايجاز والاختصار.

ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى ﴿واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها﴾ إنما يريد أهل القرية فاختصر فعمل الفعل فى القرية كما كان عاملا فى الأصل لو كان هاهنا.

ومثله: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ (٣٣ - سبأ) وانما المعنى بل مكركم فى الليل والنهار، وقال عز وجل: ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ (١٧٧ - البقرة) وانما هو، ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ..﴾[1].

ويقول الفراء: وأما قوله ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ فإنه من كلام العرب أن يقولوا - إنما البر الصادق الذى يصل رحمه ويخفى صدقته فيجعل الإسم خبرا للفعل والفعل خبرا للإسم لأنه أمر معروف المعنى[2].

فالفراء لا يرى حذف مضاف كما يرى سيبويه وقد حمل النحاس وغيره المسألة على ثلاثة توجيهات فيقول: وقرأ الكوفيون «ولكن البر» رفع بالابتداء، «من آمن بالله» الخبر وفيه ثلاثة أقوال، يكون التقدير، ولكن البر بر من آمن

---

(١) الكتاب ٢١٢/١.

(٢) معاني القرآن للفراء ١٠٤/١.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
بالله ثم حذف. كما قال: فإنما هى إقبال وإدبار[1] أى ذات اقبال، ويجوز أن يكون التقدير ولكن ذو البر من آمن بالله ويجوز أن يكون البر بمعنى البار والبر كما يقال رجل عدل ..[2].

ونفهم من هذا أن المفسرين والنحاة جعلوا للكلام ثلاثة توجهات:

**الأول:** أن فى الكلام مضافا محذوفا أى ولكن البر بر من آمن.

**الثانى:** أن يكون البر موضوع بوضع اسم الفاعل وهذا مثل قول الخنساء فإنما هى إقبال وإدبار.

**الثالث:** تأويل البر بيذى البر على حذف مضاف أيضاً.

ويرى السيرافى وجها رابعا وهو أن يجعل البر فى معنى البار فكأنه قال تعالى ولكن البار من آمن بالله ..[3].

وأحسن هذه الآراء رأى الفراء لأننا لا نحتاج الى التأويل والحذف فى الآية فكثير ما يقول العرب هذا رجل عدل، فقد يخبرون عن الذات والمصدر والعكس وهذا فيه من البلاغة ما ليس فى غيره من الأساليب.

وقد جاء فى القرآن ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ (٢ - البلد) فوقع المصدر «حل» موقع اسم الفاعل «حال» أى مقيم بهذا البلد.

وقوله تعالى ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ..﴾ فيه معنى عظيما لأن من آمن تدل على الشخص الذى يؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب .. غير لو قلنا – ولكن البر الإيمان.

فالايمان سلوك شخصى وليس فكرة وهذا السلوك مرتبط بالشخص لا يفارقه فالحق سبحانه لا يريد منا إيمانا شكليا بالتوجه نحو المشرق والمغرب، وهذا ما حاول العلماء إظهاره لكن بدون حذف مضاف أو تأويلات غير مقبولة. والله أعلم.

---

(١) الشاهد للخنساء وصدره وترتع ما رتعت حتي اذا ذكرت انظر ديوان الخنساء ص٥٠ والكامل ص٢٤٧ والمحتسب.

(٢) اعراب القرآن للنحاس ١/٢٧٩ - ٢٨٠ والكشاف ١/١٠٩ .

(٣) هامش الكتاب ١/٢/٢ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الثالثة عشرة

## وضع الفعل المضارع بدل الماضى

قال تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (٥٩ - آل عمران).

قال المستشرق - كان يجب أن يعتبر المقام الذى يقتضى صيغة الماضى لا المضارع فيقول - قال له كن فكان.

**ونرد عليهم فنقول:**

قد ذكر سيبويه مثل هذه الآية «كن فيكون» (٤٠ - النمل) أو آية (٨٢ - يس). فقال: واعلم أن الفاء لا تغمر فيها أن فى الواجب ولا يكون فى هذا الباب إلا الرفع وسنبين لم ذلك وذلك قوله - إنه عندنا فيحدثنا - إن شئت رفعته على أن تشرك بينه وبين الأول، وإن شئت كان منقطعا لأنك قد أوجبت أن تفعل فلا يكون فيه إلا الرفع، وقال عز وجل «فلا تكفر فيتعلمون» فارتفعت لأنه لم يخبر عن الملكين أنهما قالا، لا تكفر فيتعلمون ليجعلا كفره سبباً لتعليم غيره ولكنه عل كفروا فيتعلمون ومثله «كن فيكون» لأنه قال: «إنما أمرنا ذلك فيكون»[1].

ويقول السيرافى شارحا: «فيكون ليس بجواب لـ «كن» لأن الكلام الأول وجوابه جميعا من كلام واحد غير منقطع أحدهما عن الآخر، ولم يرد الله عز وجل أنه يقول للشئ كن فيكون، وكن فيكون مقولان للشئ - كن حسب ثم خبر عنه أنه يكون فصار يكون كلاماً منفرداً مستأنفاً، ودخلت عليه الفاء لأنه عطف جملة على جملة»[2].

وهذا الكلام يفسر أن «يكون» ليست جواب لـ «كن» لأنها تدل على طاعة الشئ للحق سبحانه فأمره بين الكاف والنون كما يقولون.

وحاول بعض المفسرين[3] تفسير مجئ المضارع بدل الماضى بأنها حكاية حال ماضية.

---

(١) الكتاب ٣/٣٨ - ٣٩.
(٢) الكتاب ٣/٣٨ - ٣٩.
(٣) لم يذكر الفراء شيئا عن "فيكون" راجع معاني القرآن ١/٢١٩.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يقول النحاس: كمثل آدم، ثم الكلام ثم قال ﴿خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ أى فكان والمستقبل يكون فى موضع الماضى إذا عرف المعنى[1].

وقال الزمخشرى: «ثم قال كن» أى أنشأه بشراً كقوله – ثم أنسأناه خلقا آخر – «فيكون» حكاية حال ماضية ..[2].

ومعنى هذا الكلام أن المضارع إذا وضع موضع الماضى فهو حكاية الحال الماضية وتصوير الماضى كأنه صورة حاضرة أمام القارئ والسامع وفيه صورة بلاغية رائعة حيث يدل على استمرار الصورة فالله خالق وهذه الصفة مستمرة كما قال الحق ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (١ – النساء) فالمضارع يدل على الحال والاستقبال وقد قال سبحانه فى سورة «يس» ﴿أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم، انما أمره إذا أراد شيئا أن يكون له كن فيكون﴾ (٨١ – ٨٢ – يس).

وقد حاول الألوسى وغيه تفسير ذلك فقال: «ثم قال له فيكون» أى صر بشراً مضار فالتراخى على هذا زمان إذ يسن انشائه مما ذكر وايجاد الروح فيه وتعبيره لحما ودما زمان طويل، فقد روى أنه بعد أن خلق قالبه بقى ملقى على باب الجنة اربعين سنة لم تنفخ فيه الروح والتعبير بالمضارع مع أن المقام مقام الماضى لتصوير ذلك الأمر الكامل بصورة المشاهد الذى يقع الآن إيذاناً بأنه من الأمور المستغربة العجيبة الشأن وجوز التعبير بذلك لما أن يكون المستقبل بالنظر إلى ما قبله، وذهب الكثير من المحققين إلى أن «ثم» للتراخى فى الاخبار لا فى المميز به، وحملوا الكلام على ظاهره ولا يضر تقدم القول على الخلق فى هذا الترتيب[3].

---

(١) انظر اعراب ١/٣٨٢ .

(٢) الكشاف ١/١٩٢ وأنوار التنزيل ١/١٩٢ .

(٣) روح المعاني ٣/١٨٦ - ١٨٧ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الرابعة عشرة

## لماذا لم يأت بجواب «لم»

جاء في سورة يوسف قوله تعالى: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيبت الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ (١٥ - يوسف).

بحث المستشرقون عن جواب «لما» وقالوا أين جواب «لما» ولو حذفت الواو التي قبل «لما» لاستقام المعنى.

**الرد علي هذه الشبهة:**

يقول الامام عبد القاهر الجرجاني عن الحذف بوجه عام «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيع بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للافادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن»[1].

وحذف جواب الشرط ورد في القرآن كثيرا بعد أدوات الشرط المختلفة «لو»، «لولا»، «إذا»، «إن».

قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ (٢٧ - الأنعام)، وقال سبحانه ﴿ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ (٤٣ - الأعراف)، وقال عز وجل ﴿إذا السماء انشقت﴾ وقوله سبحانه ﴿فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض﴾ (٣٥ - الأنعام).

يقول الزمخشري عن قوله تعالى ﴿فلما ذهبوا به﴾ (١٥ - يوسف) وجواب «لما» محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روى أنهم: لما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه كلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب[2].

وقد ذكر البيضاوي[3] وقال العكبري: جواب «لما» محذوف تقديره: عرفناه أو نحو ذلك وعلى قول الكوفيين الجواب «أوحينا» والواو زائدة و«أجمعوا» يجوز أن يكون حالا معه «قد» مراده وأن يكون معطوفا[4].

---

(١) دلائل الإعجاز ص١٤٦ تحقيق الأستاذ/ محمود محمد شاكر.

(٢) الكشاف ٢/٢٤٥. (٣) أنوار التنزيل ١/٣٨٧. (٤) التبيان ٢/٧٢٥.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وهكذا تعدد رأى النحاة والمفسرين فى تقدير الجواب ولا نستطيع أن نأخذ برأى لكوفيين لأن الجواب ليس: «أوحينا» وحاشا لله أن نقول أن الواو زائدة وحذف الجواب كما قلنا أمر معهود لدى العرب فى كلامهم وأشعارهم لكى يترك للعقل تصوره وتخيله وفيه من اللذة العقلية ما يعادل الذكر ورب إشارة أبلغ من عبارة.

فإذا قال الحق ﴿فلما ذهبوا به﴾ يتساءل العقل ماذا حدث؟ ولو كان الجواب «أوحينا» لاقترن بالفاء وأوحينا معطوف على الجواب المقدر وعطفه بالفاء ليدل على الترتيب والتعقيب حيث سرعة الأحداث.


المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الخامسة عشرة

## الإتيان بتوكيب أدى إلى اضطراب المعنى

ذكر ذلك المستشرقون فى قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ (٨ - ٩ - الفتح).

وهنا ترى اضطرابا فى المعنى بسبب الالتفات من خطاب محمد إلى خطاب غيره ولأن الضمير المنصوب فى قوله «تعزروه وتوقروه» عائد على الرسول المذكور آخرا. وفى قوله «تسبحوه» عائد على اسم الجلالة المذكور أولا.

هذا ما يقتضيه المعنى، وليس فى اللفظ ما يعنيه تعيينا يزيل اللبس فإن كان القول «تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا» عائداً على الرسول يكون كفراً لأن التسبيح لله فقط وإن كان القول «تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا» عائداً إلى الله يكون كفراً لأن الله تعالى لا يحتاج لمن يعزره ويقويه.

**الرد على الشبهة:**

هذه الآية تظهر مدى جهلهم بلغة القرآن فالضمائر فى قوله تعالى «وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا» ترجع الى الله سبحانه.

يقول الفراء: «ومعناه ليؤمن بك من آمن ولو قليل ليؤمنوا لأن المؤمن غير المخاطب فيكون المعنى - إنا أرسلناك ليؤمنوا بكون المعنى فى الأول يراد به مثل هذا وإن كان كالمخاطب لأنك تقول للقوم: قد فعلتكم وليسوا بفاعلين كملهم أى فعل بعضكم، فهذا دليل على ذلك، وقوله «تعزروه» تنصروه بالسيف، كذلك ذكره عنى الكلبى»[1].

فالفراء لم يذكر مرجع الضمائر ولكن مقصد كلامه فى «تعزروه» أن الضمير للحق سبحانه.

وقال النحاس موضحا: «وتعزروه» على التكثير ويقال: عزره يعزره.

قال الحسن والضحاك: «تعزروه» أى تنصروه وتعظموه، «وتسبحوه» أى تسبحوا الله عز وجل.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/٦٥ والتبيان ٢/١١٦٥ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقال قتادة: «تعزروه» تعموه، و«توقروه» تسودوه وتشرفوه وتأوله محمد ابن يزيد على أنه للمبالغة قال، ومنه عزز السلطان الانسان أى بالغ فى أدبه فيما دون الحد.

قال أبو جعفر: ورأيت على بن سليمان يتأوله بمعنى المنع قال: فعزرت الرجل الجليل منعت منه ونصرته وعزرت الرجل ضربته دون الحد واشتقاقه منعته من أن يعود الى ما ضربته من أجله[1].

وكلام النحاس يدل على أن الضمير فى تعزروه وتوقروه وتسبحوه للحق سبحانه وتعالى .. فتعزروه وتعظموه أو تنصروه، وتوقروه تشرفوه. ومما يدل على أن هذا المعنى للحق سبحانه قوله عز شأنه ﴿ما لكم لا ترجون لله وقارا﴾ (١٣ - نوح) فالتوقير التعظيم والتشريف.

وقال الزمخشرى مؤكدا لذلك: «ليؤمنوا» الضمير للناس «ويعزروه» ويقووه بالنصرة «ويوقروه» و«يعظموه» و«يسبحوه» من التسبيح أو من السبحة، والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزيز الله تعزيز دينه ورسوله ﷺ، ومن خرق الضمائر فقد أبعده وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول اله ﷺ ولأمته.

وقرئ وتعزروه بضم الزاى وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعزروه بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله «بكرة وأصيلا» عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر[2].

وهكذا أكد الزمخشرى أن الضمائر فى الأفعال الثلاثة ترجع إلى الحق سبحانه ويفهم من يتكلم بهذه اللغة معنى هذه الأفعال الثلاثة وأنها تخص الله سبحانه وتعالى، فتعزروه تقووه بالنصر أو تعظموه فإذا كانت الأولى كان الضمير للرسول ﷺ ولكن نختار المعنى الثانى فيكون الضمير للحق سبحانه والعربى يفهم ذلك، أما توقروه فقد جاء للحق فى آية سورة نوح ﴿مالكم لا ترجون لله وقارا﴾.

---

(١) اعراب القرآن للنحاس ١٩٨/٤ .

(٢) الكشاف ٤٦٢/٣ - ٤٦٣ وانظر روح المعاني ٢١/٥ .

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

هذا والقرآن يعتمد فى خطابه على الخصائص العقلية لدى المخاطب وينبه ذاكرته .. فمثلا يقول الحق: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾ (٢٣٢ - البقرة) فإذا طلقتم الخطاب للرجال وقوله «فلا تعضلوهن» الخطاب للولى الذى يقوم على أمر المرأة، و«إذا تراضوا» للزوج والزوجة. وهكذا فقد جمع القرآن المرأة ووليها وزوجها فى آية واحدة والعقل يفهم ذلك فقد أراد الحق سبحانه أن يبين حكم الطلاق الرجعى وارادة الزوج أن يعيد زوجته فعلى ولى الأمر ألا يكره المرأة على شئ.

(١) ألفية ابن مالك ص٦٣٣ - فما بعدها.

(٢) شذور الذهب ص٣٧ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة السادسة عشرة

## صرف الممنوع من الصرف

**وقد ذكروا ذلك في آيتين هما:**

قال تعالى: ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيرا﴾ (٤ - الانسان).

والثانية: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا﴾ (١٥ - الانسان).

في الآية الأولى كلمة «سلاسلا» حيث نونت وصرفت وهي ممنوعة من الصرف، وفي الآية الثانية كلمة «قواريرا» وهاتين الكلمتين منعا من الصرف لأنهما على صيغة منتهى الجموع فقواريرا على وزن مصابيح.

**الرد على هذه الشبهة:**

قولهم أن الكلمتين سلاسا وقواريرا تقرآن بالتنوين، والتنوين هو نون ساكنة تلحق آخر الكلمة لفظا لا خطا[1].

وتعددت أقوال المفسرين وعلماء اللغة في هاتين الكلمتين هل هما مصروفتان أم لا؟

قال الفراء: «سلاسل» بالألف وأجراها بعض القراء لمكان الألف التي في آخرها ولم يجر بعضهم وقال الذي لم يجر: العرب تثبت فيما لا يجرى الألف في النصب فإذا وصلوا حذفوا الألف وكل صواب، ومثل ذلك قوله «كانت قواريرا» أثبتت الألف في الأولى لأنها رأس آية والأخرى ليست بآية، فكل ثبات الألف في الأولى أقوى لهذه الحجة وكذلك رأيتها في مصحف عبد الله، وقرأ بها أهل البصرة وكتبوها في مصاحفهم كذلك وأهل الكوفة والمدينة يبثون الألف فيهما جميعا وكأنهم استوحشوا أن يكتب حرف واحدا في معنى نصب بكتابين مختلفين فإن شئت أجريتهما جميعا وإن شئت لم تجرهما وإن شئت أجريت الأولى لمكان الألف في كتاب أهل البصرة ولم تجر الثانية إذا لم يكن فيها الألف[2].

---

(١) راجع الكتاب ٢٩٩/٢ وشرح ابن الناظم ص٢٣ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢١٢/٣ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ونفهم من كلام الفراء، أن الصرف والمنع من الصرف قراءة وقال كل صواب وشرح النحاس فقال: ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل ....﴾ هذه قراءة أبي عمر وحمزة بغير تنوين إلا أن الصحيح عن حمزة أنه كان يقف «سلاسلا» بالألف اتباعا للسواء لأنها في مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة بالألف وقراءة أهل المدينة وأهل الكوفة غير حمزة ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيراً﴾[1].

ثم ذكر حجة من قرأ بغير تنوين بقوله: «والحجة لأبي عمرو وحمزة أن «سلاسل» لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له في الواحد وهو نهاية الجمع فثقل فمنع الصرف والوقوف عليه بالألف والحجة نية أن الرؤاسي والكسائي حكيا عن العرب الوقوف على ما لا ينصرف بالألف لبيان الفتحة فقد صحت هذه القراءة من كلام العرب[2]، فهذه القراءة تقف بالألف لبيان الحركة وهم في ذلك يرجعون إلى العرب الذين يجيزون الوقوف على الممنوع من الصرف.

ومن قرأ بالمنع من الصرف قال عنه النحاس: «والحجة لمن نون ما حكاه الكسائي وغيره من الكوفيين أن العرب تصرف كل ما لا ينصرف[3] إلا أفعل منك فهذه حجة، وحجة أخرى أن بعض أهل النظر يقول - كل ما يجوز في الشعر فهو جائز في الكلام، لأن الشعر أصل كلام العرب فكيف نتحكم في كلامها ونجعل الشعر خارجاً عنه؟ وحجة ثالثة أنه لما كان الى جانبه جمع ينصرف فأتبع الأول الثاني»[4].

وذكر النحاس في «قواريرا» هذا الكلام فقال: «كانت قواريرا» قراءة أبي عمرو الثاني بغير ألف وفرق بينهما لجهتين: احداهما أنه كذا في مصاحف أهل البصرة.

والثانية: أن الأولى رأس آية فحسن اثبات الألف فيها، فأما حمزة فقرأ «كانت قوارير قوارير من فضة» لأنهما لا ينصرفان فهذا شيء بين لولا مخالفة السواد.

---

(١) اعراب القرآن للنحاس ٥/٩٦ - ٩٧ .

(٢) نفس المرجع ٥/٩٧ .

(٣) راجع الانصاف المسألة السبعون، هل يجوز ترك صرف ما ينصرف عند الضرورة ذهب الكوفيون الي جواز ذلك وذهب البصريون الي أن ذلك لا يجوز، راجع الجزء الثاني ص٤٩٣ فما بعدها.

(٤) اعراب القرآن للنحاس ٥/٩٧ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وقرأ المدنيون فيهما جميعا، والذى يحتج به لهم لا يوجد إلا من قول الكوفيين وهو أن الكسائى والفراء أجازا صرف ما لا ينصرف إلا أفعل منك واحتج الفراء بكثرة ذلك فى الشعر[1]، فهذا الكلام يدل على أن «قواريرا» قرأت غير مصروفة وهذا عند البصريين لأنه جمع بعد ألفه حرفان لا ينصرف.

وقرأت مصروفة لأنها رأس الآية وترك صرف الثانى لأنه بآخر الآية ومن صرفه اتبعه الأول[2].

**وخلاصة المسألة:**

أن مجئ كلمة «سلاسل»، و«قواريرا» مصروفا[3] مع أنهما ممنوعان من الصرف يرجع الى اختلاف القراءات ولكل حجة كما ذكرنا فالذى منع من الصرف يرى أنهما على صيغة منتهى الجموع والذى نونه يرى إتباعه ما بعده «أغلالا» فى الآية وأنهم وجدوا فى الشعر مثل ذلك منوناً فى الفواصل كقول الراجز: قد جرت الطير أيا منينا[4].

---

(١) اعراب القرآن للنحاس ١٠١/٥ .

(٢) روح المعاني ٢٦٠/٥ .

(٣) ذكر الدكتور/ شوقي في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ط دار المعارف القراءات في هاتين الآيتين ففي الآية الأولي «سلاسلا» قال " قرأ ابن كثير "سلاسل" بغير ألف وصل أو وقف هذه رواية مستبل وحدثني ابن الجهم عن خلف والهيثم عن عبيد عن شبل عن ابن كثير "سلاسلا" منونة، وقرأ أبو عمر "سلاسل" غير منون ووقف بألف: "سلاسلا" وقرأ ابن عامر وحمزة سلاسل بغير تنوين ووقف حمزة بغير ألف" راجع ص ٦٦٣ - ٦٦٤ . وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر والكسائي "سلاسلا منونة وروي حفص عن عاصم أنه كان لا ينون إذا وصل ويقف بالألف وقال ايضا في ٦٦٣ - ٦٦٤ . وفي الآية الثانية "قواريرا" قرأ عاصم في رواية أبي بكر ونافع والكسائي "قواريراً، قواريراً منونة وقرأ حفص مثل "سلاسلا" لا ينون فليس الوصل .. وقرأ حمزة وابن عامر بغير تنوين وقرأ ابن كثير بالتنوين في الأول وغير التنوين في الثانية.

(٤) في اللسان «يمن» وهو غير منسوب بعده.

قالت وكنت رجلا فطينا هذا العمر الله إسرائينا

قال ابن سيدة:

جمع يمينا علي ايمان ثم جمع أيمانا علي أيامين ثم أراد جمعا آخر فلام يجد جمعا من جموع التكثير أكثر من هذا فرجع الي الجمع بالواو والنون، انظر البيان ٤٨٠/٢ والقرطبي ١٢٣/١٩ والتبيان ١٢٥٧/٢ - ١٢٥٩ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة السابعة عشرة

## الإتيان بتوضيح الواضح

**منشأ هذه الشبهة:**

يرى المستشرقون ذلك: في قوله تعالى: ﴿**فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة**﴾ (١٩٦ - البقرة).

فقالوا - لماذا لم يقل: تلك عشرة مع حذف كلمة «كاملة» تلافيا لايضاح الواضح؟ لأنه من المؤكد أن العشرة عشرة من ذا الذى يظن أن العشرة تسعة؟

قال الفراء: «فمن لم يجد» الهدى صام ثلاثة أيام يكون آخرها يوم عرفة واليومان في العشر، فأما السبعة فيصومها إذا رجع في طريقه وإن شاء الله اذا وصل الى أهله و«السبعة» فيها الخفيف على الاتباع للثلاثة، وإن نصبتها فجائز على فعل مجدد، كما تقول في الكلام ... لابد من لقاء أخيك وزيد وزيداً[1] هذا بالنسبة للاعراب فهو يرى الخفض في الثلاثة والسبعة والنصب على تقدير فعل أيصوموا أو ليصوموا.

كذا ذكره العكبرى فقال: «وقرئ سبعة - بالنصب تقديره ولتصوموا سبعة أو وصوموا سبعة»[2].

ولم ينبه أكثر المفسرين الى سر التعبير بقوله تعالى: ﴿تلك عشرة كاملة﴾. غير أنى وجدت للزمخشرى كلاماً مفيداً في ذلك وهو:

«فإن قلت فما فائدة الفذلكة قلت: الواو قد تجئ للاباحة نحو قولك: جالس الحسن وابن سيرين ألا ترى أنه لو جالسهما جميعا أو واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم لإباحة وأيضا ففائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة[3] كما علم تفصيلا ليحاط به ومن جهتين فيتأكد العلم

---

(١) معاني القرآن للفراء ١١٩/١ واعراب القرآن للنحاس ٢٩٤/١ .

(٢) التبيان ١/ ١٦٠ .

(٣) فذلك الحساب: أنهاه وفرغ منه وهي منحوتة من قوله: فذلك كذا وكذا إذا أجمل حسابه والفذلكة مجمل ما فصل وخلاصته، راجع المعجم الوسيط "فذلك" جـ٢ ص٧٠٣ واللسان فذلكم.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
وفى أمثال العرب – علمان خير من علم وكذلك «كاملة» تأكيدا آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وأن لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما نقول للرجل – إذا كان لك اهتمام بأمر تأمره به وكان منك بمنزل الله اله لا تقتصر وقيل: كاملة فى وقوعها بدلا من الهدى[1].

فهذا الكلام يفيد أن فى الآية توكيدين:

**الأول:** قوله تلك عشرة.

**الثانى:** كلمة «كاملة».

والمراد من ذلك إجمال ما كان مفصلا والتأكيد والاشارة إلى أهمية هذه الأيام.

ويقول الإمام البيضاوى:

«تلك عشرة» فذلكة الحساب، وفائدتها ألا يتوهم متوهم أن «الواو» أى فى «وسبعة إذا رجعتم» كقولك: جالس الحسن وابن سيرين وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وكاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى المحافظة على العدد أو مبينة كمال العشرة، فإن أول عدد كامل إذ به تنتهى الأحاد وتتم مراتبها»[2].

وتبعهما الإمام الشوكانى فقال:

«انه مثل: كتبت بيدى والكتابة لا تكون الا باليد والكتابة لا تكون الا باليد[3].

ويقول السمين الحلبى: ومثله قول الشاعر:

فسرت اليهم عشرين شهرا وأربعة فذلك رجحتان

أى سنتان[4].

---

(١) الكشاف ١/١٢١ .

(٢) أنوار التنزيل ١/١١١ .

(٣) فتح القدير ١/٢٢٧ .

(٤) الدر المصون ٢/ ٣٢٠ ط دار الكتب العلمية.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

**والخلاصة في ذلك:**

أن تعبير القرآن بقوله سبحانه ﴿تلك عشرة كاملة﴾ ليس فيه تكرار أو توضيح الواضح كما يدعون، بل فيه إشارة إلى ما فصل والاشارة الى أهمية هذه الأيام، ورفع التوهم بأن الواو بمعنى «أو» التى تفيد الإباحة فالواو للجمع حيث أن التمتع بالعمرة الى الحج كفارته إن لم يجد الهدى عشرة ايام ثلاثة فى الحج لانشغاله بالمناسك وسبعة اذا رجع الى أهله.

لذلك قال: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ لئلا يتوهم الحاج والمخاطب أن المقصود ثلاثة فقط أو سبعة فقط.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة الثامنة عشرة

## الإتيان بفاعلين لفعل واحد

**منشأ هذه الشبهة:**

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (٣ - الأنبياء).

يرى المستشرقون أن الفعل «أسروا» له فاعلان:

**الأول:** «واو الجماعة: في أسروا.

**والثاني:** الذين ظلموا.

ولما كان الفعل لا يطلب إلا فاعلا واحدا قال بأن القرآن جعل للفعل الواحد فاعلين.

يقول الزمخشري: «أبدل الذين ظلموا من واو، وأسروا إشعارا بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيمنا أسروا به، أو جاء على لغة من قال: أكلوني البراغيث، أو هو منصوب المحل على الذم، أو هو مبتدأ خبره وأسروا النجوى قدم عليه والمعنى هؤلاء أسروا النجوى فوسع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم[1].

فالزمخشري يرى عدة وجوه:

أولا: أن يكون الذين ظلموا بدلا من معنى الواو في أسروا[2].

ثانيا: أنه جاء بلغة بعض القبائل العربية التي تجمع بين الضمير إذا وقع فاعلا وبين ما يعتبره وعليه جاء الحديث الشريف «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[3].

---

(١) الكشاف ٢/٢٥٦٢ وفي الكتاب «وأما قوله جل ثناؤه وأسروا النجوى الذين ظلموا» فإنما يجيء على البدل وكأنه قال انطلقوا فقيل له: من فقال بنو فلان، فقوله عز وجل على هذا فيما زعم يونس. انظر جـ٢ ص٤١ .

(٢)

(٣) رواه الشيخان ومسلم.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

**ثالثا:** أن يكون فى محل نصب على الذم على تقدير فعل محذوف هو أذم أو أخص الذين ظلموا بالذم.

**رابعا:** أن يكون هو المبتدأ وما قبله خبر عنه أى الذين ظلموا أسروا النجوى.

وذكره الإمام الشوكانى وغيره[1].

وقد جاء مثل ذلك فى قوله تعالى: ﴿ ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ (٧١ – المائدة).

ويرى علماء البلاغة أن قوله تعالى: ﴿واسروا النجوى الذين ظلموا﴾ وأمثالها جرت على نسق الاستئناف البيانى.

وضابط هذا الأسلوب أن تتقدم جملة من الكلام تثير فى ذهن السامع تساؤلا لطيفا يدب فى نفسه .. فتأتى جملة أخرى تجيب على ذلك التساؤل. فجملة «وأسروا النجوى» تثير فى النفس التساؤل نفسه، من هم الذين أسروا النجوى فكان الجواب الذين ظلموا[2].

وجعل الامام عبد القاهر الجرجانى هذا الأسلوب من باب «الإضمار على شريطة التفسير».

ومن أمثلته قول الشاعر:

هى الدنيا تقول بملء فيها ... حذار حذار من بطشى وفتكى

ولا يغرركم منى ابتسام ... فقولى مضحك والفعل مبكى

فقد أتى بالضمير أولا، وأسروا ثم فسره ثانيا هكذا .. الذين ظلموا ففى الأسلوب من تشويق النفس وتحريك الشعور الى التطلع الى الجواب وتفسير ما سبق من تساؤل.

---

(١) فتح القدير ٣/٤٦٩ - ٤٧٠ والدر المصون ٨/١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) الايضاح للخطيب القوزيني مبحث الفصل والوصل.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## الشبهة التاسعة عشرة

# الإتيان بالضمير العائد علي المثنى مفردا

**منشأ هذه الشبهة:**

هو قوله تعالى: ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ (٦٢ - التوبة).

ذكروا هذه الآية ولفت نظرهم ذكر الله ثم ذكر رسوله معطوفا عليه ثم إيقاع الفعل «يرضى» على الضمير المفرد وهو الهاء فى يرضوه وهو شاهدهم فى هذه الشبهة.

ثم قالوا فلحقا لم يثن الضمير العائد على الاثنين اسم الجلالة ورسوله فيقول، إن يرضوهما.

وهذه الشبهة تتعلق بعقيدة توحيد الله عز وجل فلا يثنى الله سبحانه مع أحد فهو الفرد الصمد، فالحق سبحانه ما يرضيه يرضى الرسول ﷺ ، فقد قال الحق: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[1].

ويرى صاحب المشكل فى اعراب القرآن أن فى الآية حذفا فيقول: قوله ﴿الله ورسوله أحق أن يرضوه﴾.

مذهب سيبويه أن الجملة الأولى حذفت لدلالة الثانية عليها تقديره عنده، والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه فحذف أن يرضوه الأولى لدلالة الثانية عليها فالهاء على قوله فى يرضوه تعود على الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقال المبرد: لا حذف فى الكلام لكن فيه تقديم وتأخير تقديره عنده: والله أحق أن يرضوه ورسوله، فالهاء فى يرضوه عند المبرد تعود على الله قبل ثناؤه[2].

وقال الفراء: «المعنى ورسول أحق أن يرضوه والله افتتاح كلام ويلزم المبرد

---

(١) آية ٨ - النساء، وراجع دقائق التفسير ٢٠١/٣ .

(٢). مشكل اعراب القرآن ٣٣١/١ - ٣٣٢ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

من قوله أن يجوز: ما شاء الله وشئت بالواو لأنه يجعل الكلام جملة واحدة وقد نهى عن ذلك إلا بم ولا يلزم سيبويه ذلك لأنه يجعل الكلام جملتين فيقول سيبويه هو المختار فى الآية والله مبتدأ و «يرضوه» يدل وأحق الخبر وإن شئت كان «الله» مبتدأ و«أن يرضوه» مبتدأ ثان وأحق خبره، والجملة خبر الأول ومثله، فالله أحق أن تخشوه..»[1].

وأرى أنه لا داعي للقول بالحذف فى الآية، وهذه التأويلات التى لا طائل من ورائها وأحسن الآراء فى ذلك أن الضمير يعود على أقرب مذكور وهو الرسول ﷺ فرضا الرسول يرضى الله.

يقول ابن تيمية: «وأما المحبة فهى لله ورسوله، والإرضاء لله والرسول كقوله تعالى: ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾ (٢٤ - التوبة) وقوله: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ (٦٢ - التوبة). فالرسول ﷺ علينا أن نحبه وعلينا أن نرضيه ..»[2] والله أعلم.

---

(١) معاني القرآن للفراء ١/٤٤٥ .

(٢) دقائق التفسير ٣/٢٠١ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com



## الإتيان بالجمع مكان المثنى

وقد ذكروا ذلك في قوله تعالى: ﴿إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ (٤ - التحريم).

والشاهد في الآية عندهم هو قلوبكما حيث جاء المضاف «قلوب» جمعا والمضاف اليه «كما» مثنى والمتحدث عنه في قوله تعالى «تتوبا» مثنى كذلك، وقد علق على هذا فقالوا لماذا لم يقل قبلاكم لأنه ليس للإثنين أكثر من قلبين؟.

يقول الزمخشري: إن «تتوبا» خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال: عجبا يا ابن عباس كأنه يكره ما سألته عنه، ثم قال: هما حفصة وعائشة[1].

كذا ذكره غيره[2] فالمراد في الآية خطاب أمنا حفصة وعائشة فهما اثنتان وأكد سيبويه ذلك فقال: «وهذا باب ما لفظ به مما هو مثنى كما لفظ بالجمع».

وهو أن يكون الشيئان كل واحد منهما بعض شئ مفرد من صاحبه وذلك قولك: ما أحسن رءوسهما وأحسن عواليهما، قال عز وجل: ﴿إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما﴾ (٤ - التحريم)، ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ (٣٨ - المائدة)، فرقوا بين المثنى الذى هو شئ على حدة وبين ذا، وقال الجليل: نظيره قولك، فعلنا وانتما اثنان فتكلم به كما تكلم به وانتم ثلاثة.

وقد قالت العرب في الشيئين اللذين كل واحد منهما اسم على حدة

---

(١) الكشاف ٤/١١٥.

(٢) راجع اعراب القرآن للنحاس ٤/٤٦١ - ٤٦٢ وروح المعاني ٥/١٩٣.



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com
وليس واحد منهما بعض شئ كما قالوا فى ذا، لأن التثنية جمع فقالوا كما قالوا: فعلنا ..[1].

ونفهم من كلام سيبويه أن العرب يستثقلون اجتماع تثنيتين فى كلمة واحدة فعدلوا عن التثنية الى الجمع لأن التثنية أول الجمع.

وقال ابن القيم: إن لغة العرب متنوعة فى افراد المضاف، وتثنيته، وجمعه بحسب أحوال المضاف اليه، فإن أضافوا الواحد المتصل إلى مفرد أفردوه، وإن أضافوه الى اسم جمع ظاهر أو مضمر جمعوه، وإن أضافوه الى اسم مثنى فالأفصح فى لغتهم جمعه كقوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ (٤ - التحريم) وانما هما قلبان، وكقوله ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ (٣٨ - المائدة).

وتقول العرب: اضرب اعناقهما وهذا أفصح فى استعمالهم ..[2].

وقال السمين: من أفصح الكلام حيث أوقع الجمع موقع المثنى استثقالا لمحمى تثنيتين لو قيل .. قلباكما»[3].

فهذا الكلام أن قوله سبحانه وتعالى: «قلوبكما» من أفصح الكلام وفى جمع هذه الكلمة مراعاة المعنى تعميم الحكم والتهويل من افشاء السر. والله أعلم.

---

(١) الكتاب ٣/٦٢١ - ٦٢٢ .

(٢) التفسير القيم ٤٩٥ وانظر الصواعق المرسلة ١/٣٢ .

(٣) الدر المصون ١٠/٣٦٦ .



المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

## أهم المصادر والمراجع


١- القرآن الكريم.

٢- إحياء النحو للأستاذ/ ابراهيم مصطفى.

٣- إعراب القرآن للنحاس، ط عالم الكتب.

٤- أنوار التنزيل للبيضاوى.

٥- ألفية ابن مالك على شرح ابن الناظم - دار الكتب.

٦- أسرار النحو للأستاذ الدكتور/ محمد يسرى زعير.

٧- الإنصاف فى مسائل الخلاف، ط دار الكتب.

٨- بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة القاهرة.

٩- التفسير القيم لابن القيم تحقيق/ محمد حامد الفقى، ط دار الكتب العلمية.

١٠- التبيان فى اعراب القرآن لأبى البقاء العكبرى.

١١- دقائق التفسير للإمام ابن تيمية تحقيق/ محمد السيد الجلنيد.

١٢- الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين للدكتور/ أحمد مكى الأنصارى.

١٣- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للإمام شهاب الدين أبى العباس المعروف بالسمين الحلبى.

١٤- درة الغواص تفسير للقاسم بن محمد الحريرى.

١٥- فتح القدير للشوكانى، ط النهضة العربية.

١٦- الكشاف لزمخشرى ط دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٧- روح المعانى للألوسى.

١٨- معانى القرآن للفراء، تحقيق الأستاذين/ أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار.

١٩- مذاهب التفسير الإسلامى لجولدتسيهر.

٢٠- معانى القرآن للأخفش.

٢١- معانى القرآن واعرابه للزجاج.

٢٢- ملاك التأويل لأحمد الثقفى.

٢٣- الكتاب لسيبويه، ط عبد السلام هارون.




المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية